مجلة
روايات أحلام

فراشة المحبة

شمس الليل

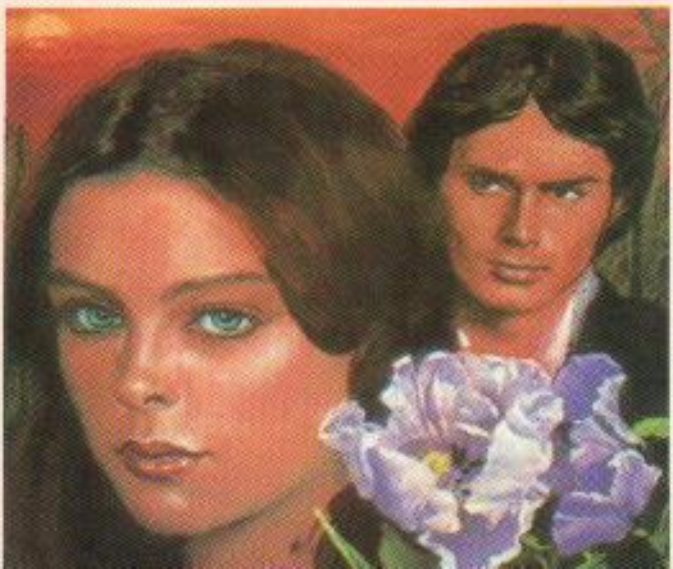

مجلة روايات أحلام

فراشة المحبة

شمس الليل

نقضي العمر على شاطئ الحياة في انتظار المجهول في حين أن خطوة واحدة كافية لنحلق في سماء الحب أو لنسقط في هاوية الضياع.

جوانا لايتون الفتاة الريفية البسيطة خطت خطوة واحدة فإذا بها تجد نفسها في عالم طوني بروكلي، المغني الشهير، فتى أحلامها الذي تضحي الفتيات بكل شيء من أجل نظرة منه.

لم تستطع جوانا تصديق حظها عندما تقرّب طوني منها طالباً يدها. لكن عالمه الساطع بالأضواء أثار فيها هلعاً وشعوراً بالغربة، ثم اكتشفت الحقيقة المرّة: كان كل شيء زائفاً في عالم الشهرة هذا حتى مشاعر خطيبها طوني بروكلي؛ إذ لم تكن جوانا بالنسبة له إلاّ درجة يرتقيها نحو قمة المجد.

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل	الإمارات ٦د.	مصر ٤ج	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ر.	المغرب ١٥د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ف.	تونس ١,٥د.	السودان
الكويت ٥٠٠ف.	السعودية ٧ر.	عمان ٦٠٠ب.	العراق

١ ـ أحلام المساء

عندما انسابت أنغام الغيتار في جو مطعم الفندق يرافقها صوت المغني العذب، ارتعشت جوانا التي أحست وكأن ذاك الصوت يخترق كل مسام جسدها.

كانت تجلس إلى إحدى الطاولات تتحدث إلى السيدة ڤالون صاحبة الفندق. وحاولت السيدة اللطيفة أن تعتذر بارتباك عن عدم حاجتها في الوقت الحاضر إلى مساعدات، لكنها وعدتها أن تستدعيها في أقرب وقت عندما يتحرك العمل في الفندق.

وشدّ انتباه السيدة ڤالون صوت الباب الزجاجي يفتح، فتابعت جوانا نظراتها لتشاهد فتاة شقراء تغطي عينيها نظارة سوداء يرافقها رجل في منتصف العمر يتوجهان نحو الاستعلامات.

ـ إنهما زائران يقصداننا في نهاية كل أسبوع، وذلك منذ ستة أسابيع تقريباً.

ـ وهل يبحثان عن منزل؟

ـ بل عن سرير يا عزيزتي. لا تكوني ساذجة!

نظرت السيدة ڤالون حولها ثم قالت لجوانا:

ـ سأعتذر منك الآن إذ لدي ما أقوم به. تمتعي بوقتك!

بعد رحيل السيدة ڤالون بقيت جوانا مكانها تتابع بعينيها هذين الزوجين الغريبين. فالمرأة الشابة تملك بشرة ناعمة حريرية لا تحتاج

إلى هذا الطلاء على وجهها. كانت ترتدي ثياباً لا تشبه ثياب سكان القرية: كنزتها من الكشمير وتنورتها من التويد. شعرها أشقر فضي بشكل مميز، وتتربع على عنقها قلادة ذهبية.

أما الرجل فذو وجه أحمر، لا يملك تلك النظرة الرومنطيقية أو السحر ليجذب امرأة كهذه. تساءلت جوانا ترى ما الذي يجمع هذين الزوجين معاً؟ أيكون السبب مال الرجل أم مهنته أم الاثنين معاً؟

عادت جوانا الى منزلها متأخرة، وصلت الى الباب وفتحته، ما إن دخلت غرفة الطعام حتى خُيل إليها وكأنها في حانة نظراً لرائحة ودخان التبغ اللذان كان يتصاعدان من غليون والدها الذي التفت اليها في الحال سائلاً عن سبب التأخر.

ـ أحببت أن أتناول معك كأساً من شراب النعناع فمررت الى السوق لشراء زجاجة منه.. هل في الأمر سوءاً أبي؟

رفع السيد لايتون حاجبيه بعد أن سكب لها كأساً وأعطاها إياه:

ـ لم أعتد رؤيتك هكذا! هل ثمة ما يغضبك؟!

ـ متعبة قليلاً.

تجهّمت بعد أن احتست قليلاً من الشراب:

ـ إنه حار المذاق.

ـ يا فتاتي العزيزة.. أي شيء أحسن منه مذاقاً لا يستحق أن يشرب. لكن لا تحب النساء هذا النوع من الشراب. أواثقة أنك على ما يرام؟ بدوت قلقة في الفترة الأخيرة. ربما تحتاجين للخروج قليلاً.

ـ لقد فكرت بهذا أبي.. ففي الواقع أنوي الذهاب الى اوتاوا يوم السبت المقبل لحضور استعراض غنائي، وسأقضي ليلتي عند عمتي دولوريس.

ـ يسرني ذلك.. فلعل هذه الرحلة تفيدك قليلاً. لكن ما نوع

الاستعراض؟

ـ الاستعراض الذي يقام على مسرح الفنون.

ـ آه ذلك الشاب برونك.

ـ اسمه بروكلي.. طوني بروكلي لا زال يقدم استعراضه هناك منذ شهر.

بدت الحيرة على وجه السيد لايتون:

ـ لا أفهم ماذا يجد شبان هذا اليوم فيه. لا أحد من هؤلاء المغنين الجدد يهتم بالمحافظة على النغم الجميل بالإضافة الى الغناء!

ـ لكن يملك طوني بروكلي صوتاً رائعاً واغاني جميلة جداً ومشهورة كثيراً. لقد سمعتك منذ فترة تدندن اغنية له.

ـ انا..؟ ابداً!

ـ بلى.. رددت أغنيته المشهورة (قمر ليلة صيف) عندما كنت تطلي الغرفة الإضافية.

فكر الوالد قليلاً ثم هز رأسه:

ـ لم اعلم أنها ل.. حسناً ربما يملك موهبة في التأليف، لكنني لن أغير رأيي في صوته. لو غنى في أيامنا لطرده الناس عن المسرح.

لطالما تاقت لرؤية طوني بروكلي الذي لازمها سحره منذ اربع سنوات، كان خلالها المغني الأكثر شهرة في كندا، لا سيما في السنة الأخيرة حيث لاقى نجاحاً مذهلاً في بريطانيا وأميركا. لدرجة أن المجلات كانت تنشر الروايات عن آخر مغامراته العاطفية التي وصفها النقاد بشدة:

«النجم الشاب طوني بروكلي يتسبب في تحطيم البيوت العامرة حيث تترك النساء أزواجهن وأطفالهن للحاق به في جولاته حول العالم» وأشار احد النقاد الساخرين الى أنه يفضل النساء المتزوجات على العازبات وكتب موضوعه الاسبوعي تحت العنوان التالي:

«طوني بروكلي، الولد الذي يهوى اللعب بدمى غيره».

كانت لا تزال جوانا غارقة في أفكارها هذه عندما حضرت العشاء وجلست مقابل ابيها لتناول الطعام، فقد حافظت منذ وفاة والدتها على التأنق في تقديم الوجبة مهما كانت بسيطة لمعرفتها بأن هذا يسعد أبيها ويذكره بالبيت المرتب المريح الذي كانت تؤمنه له زوجته الراحلة.

وحين انتهيا من تناول الطعام، أعلمها الأب أن بول ڤيرانت سيحضر لاحتساء القهوة.. إنه مزارع محلي، شاب أعزب، وثري، وتسعى الكثيرات في المقاطعة خلفه، لكن لم يرتح قلبه الا لفتاة واحدة هي جوانا لايتون.. التي تمنت بدورها لو تستطيع مبادلته الحب الذي يحمله لها في قلبه، وسمعت والدها يقترح:

- لماذا لا تطلبين من بول أن يرافقك لحضور الاستعراض؟ على الأقل لن تتكبدي عناء الذهاب بالقطار..

- إنه لظلم أبي.. فأنت تعرف كم يكره المغنين الجدد مثلك أنت تماماً.

- لكنه سيطير فرحاً عندما يحظى بفرصة مرافقتك. لا أفهم سبب عدم إعجابك به؟

- يعجبني يا أبي! لكنني لا أحبه.. فهو يريد هذا وأنا لا أستطيع.

- لكنك ستندمين في النهاية.

- تردد لي هذا دوماً.

- لأنك لا تملكين العقل الكافي لرؤية مصلحتك.

- لا أستطيع أن أغرم بشخص لمجرد أوامر تصدرها لي.

وصمتت عن الكلام لدى سماعها صوت جرس الباب.. قامت غاضبة لفتحه فاذا الذي يقف خلفه شاب ممتلىء الجسم عريض

الكتفين، ذو شعر أشقر مجعّد مسرّح الى الوراء.. حاجباه كشعره وعيناه رماديتا اللون، حادتا النظرات، وفمه ممتلىء فوق ذقن عريضة.

- مرحباً جوانا لم أتوقع وجودك هنا.

- وأين يمكن أن أكون في مثل هذه الساعة؟

قال وهو يدخل:

- لا تغضبي.

- آسفة بول، تفضّل بالدخول.. سأحضر القهوة حالاً.

وتبعها الى غرفة الجلوس وهناك لقي استقبالاً حاراً من والدها الذي عوّض له عن برودتها في الترحيب.

بدءا يتبادلان الأحاديث المختلفة، بينما انهمكت جوانا في تنظيف الطاولة وتحضير القهوة وبعد أن قدمتها لهما حملت فنجانها، وجلست والشرفة أمامها مفتوحة على مصراعيها، تعطيها الفرصة لإسراح النظر في شارع القرية، وإجالة الفكر الى الأمسية.. الى حيث المكان الذي ستشاهد فيه طوني بروكلي للمرة الثانية، بعد أن رأته في احدى حفلاته التي لا زالت تذكرها بسحره الحميم الذي يتطاير حوله كشرارات النار المستعرة حيث تحرق كل فتاة تراه أو تسمعه بواحدة منها، فتشعر بأنه يغني لها وحدها.. وتنهدت ثم أجفلت لصوت طوني الذي قطع عليها حبل أفكارها:

- إلى أين ذهبت بأفكارك؟ للمرة الثالثة أخاطبك دون جدوى.

- آسفة.. لم أسمعك.

- هذا واضح.

وتقدم نحوها ليشاركها الجلسة قرب النافذة، فالتفتت حولها لتفاجأ بأنهما قد اصبحا وحيدين في الغرفة.

- أين أبي؟

- خرج ليتمشى.

- إذاً انسحب بلباقة لنبقى وحدنا!

- ولم لا؟ فهو يعلم بأنني أنتظر هذه الفرصة. يبدو لي أحياناً أنك الوحيدة التي لا تفكر بي ولا تعرف حقيقة شعوري نحوها.

- بلى.. اعرف. ولكن لا فائدة من هذا.

- لمَ؟ لماذا تبعديني عنك جو؟ تعرفين أنني أحبك. فلو قبلت بالزواج مني فستحصلين على كل شيء تريدينه.

ما عدا السعادة... وتمنت لو أنها تميل اليه، ولو جسدياً. فالكثير من الفتيات يسعدن بمجرد التفكير في أن يكن سيدات في مزرعة، بمخازنها البيضاء، وماشيتها ومراعيها، والفدادين الشاسعة من الأراضي. وفكرت ببول: فهو كريم، دمث الاخلاق، يمكن الاعتماد عليه في كل الأمور وتعرف أنه سيفعل ما بوسعه ليجعلها سعيدة.. لكنها لا تتصور سعادتها معه، فهي قلقة، تتوق لشيء أكثر إثارة من الحياة الضعيفة التي يعرضها عليها، مما يجعل قبولها به زوجاً أمراً مستحيلاً.

قالت بلطف:

- آسفة.. لكنني لا أحبك، وليس من العدل أن أتزوجك.

- لكنك لم تعط نفسك فرصة التجاوب معي.. حتى الآن لا زلت مجرد جار لك. و...

- لا أستطيع.. رغم أنني عرفتك منذ زمن بعيد.

- لكن ما أنوي فعله ربما سيغيّر نظرتك إليّ.

سرعان ما جذبها اليه.. وأجبرها على رفع وجهها نحوه:

- أنا متيّم بحبك جو.. وأريدك كثيراً لدرجة الجنون.

لم يكن معتاداً أن يتصرف معها هكذا.. قاومته بشدة ممّا زاد من انفعاله فشدها بقوة أكبر، لم تعد بعدها قادرة على المقاومة وبعد

لحظات تركها ووقف قائلاً:

- لن أعتذر عن هذا جو. لطالما كنت متساهلاً معك.

- لكنني لن أغير رأيي بعد هذا التصرف الهمجي، فمن المستحيل ان يجبر المرء نفسه على حب شخص لا يريده.

- يمكنك أن تمنعي نفسك عن الحب.

قالت محتارة:

- ولماذا أفعل؟ لو أني احببتك كنت سأسعد بالزواج منك، ولن أحتاج لمقاومتك.

- في الواقع لست واثقاً من صدق كلامك، أعتقد انك خائفة من أن تكبري.. ولذا تكبحين مشاعرك.

- لم أسمع بشيء أسخف من هذا!

- قد يبدو هذا سخيفاً لك. لكنها الحقيقة. لقد استخدمت واقع وفاة أمك للعيش مجدداً كطفلة! تقومين بتدبير المنزل وبرعاية أبيك!

- وهل تفضل أن أقدم الرعاية لك أنت؟!

- إنه امر اكثر واقعية من الحياة التي تعيشينها الآن كالغرق في الأحلام.. فكل عواطفك منحصرة في التلفزيون والراديو وخاصة ذلك المغني اللعين المجنونة به.

- لست الوحيدة.. وهل أن ملايين الفتيات مجنونات؟

- لم أقصد هذا.

- أعرف ما تقصد.. ولذا لا أهتم. إنني أرى الاشياء بشكل مختلف عنك، وهذا احد أهم الأسباب التي تجعل حياتنا معاً امراً مستحيلاً. فلا يمكنني أن أتحمس لانتاج الحليب أو لسعر العلف.

- لم تعط نفسك الفرصة لذلك. كل ما يهمك أن تحلمي بنجوم الغناء وحياتهم القذرة! لكن ستعودين يوماً ما الى الواقع الذي فقدته وستجديني في انتظارك.. شئت هذا أم أبيته.

٢ ـ المطلوب أنتِ

كانت غرفة ملابس النجم الأول في المسرح مليئة بالزهور. وقد جلس في إحدى زواياها رجل نحيل في مقتبل العمر لوضع آخر لمسات الماكياج، محاولاً عدم الاصغاء الى حديث رجل ضخم الجثة يقف خلفه:

ـ اسمع طوني، لا يمكنك بيع اسطوانة بعنوان «المخلص لك» ثم تتورط في قضية طلاق قذرة. فلو ظهرت هذه القصة سوف تؤثر على رواج تسجيلاتك.

ـ تركت لونا زوجها قبل ان اتعرف اليها، فلا يمكنه وضع الملامة عليّ لكن لم أنت كثير القلق ريتشارد فعلاقات الحب لم تؤثر يوماً على أحدٍ من مشاهير الفن، وعلى كل حال أنا مغني ولست قديساً!

ـ لكن صورتك مختلفة وقد ابتدعتها لك بعد عمل مضني ولا أريد أن تشوهها الآن.

ـ لا علاقة لأحد في حياتي الخاصة.

ـ لا تقل هذا! تعلم جيداً أن من يكون في الواجهة عليه أن يحسن التصرف أمام الناس.. برأيي يمكنك الاحتفاظ بعلاقتك مع مئة امرأة.. طالما تبقيها في السر.. لكن هل أنت متكتم؟ لا يا سيدي! إنك تتصرف كشخص غير مسؤول!

بقي طوني صامتاً ممّا زاد في غيظ الرجل الاكبر سناً:

ـ انتبه طوني، لقد تماديت! حتى ولو استطعت أن تبقى بعيداً عن قضية طلاق رونا، فعندما تصبح حرة ستعقد الآمال على زواجك منها وستنتظر طويلاً. ستحول حياتك إلى جحيم إن لم تتزوجها.

فهز طوني كتفيه:

ـ إنها تشعرني بالضجر.

فقطب ريتشارد بون حاجبيه:

ـ لكنها لم تكن تضجرك منذ ثلاثة أشهر.. لا أدري ما حل بك لقد كنت فتى لطيفاً مهذباً عندما التقيتك تغني مع تلك الفرقة المتواضعة لكن منذ وصولك القمة أصبحت شخصاً آخر، اسمع طوني إن لم تكن حذراً ستؤذي نفسك.

ـ مهما فعلت فسيبقى الناس مصدر إزعاج لي.

ـ إنه ثمن النجاح.

ـ لقد دفعته غالياً. لا لن اتزوج رونا اندروس، ولا قولك أنت أو أي شخص غيرك يجبرني على ذلك.

فصاح ريتشارد:

ـ أنا لا أريد ذلك بل هي من تريد وإن لم تتزوجها ستبيع قصتكما معاً للصحافة.

ـ حتى لو فعلت؟ الدعاية لن تضرني.

ـ لكن هذه المرة ستضرك.. واجه الواقع طوني بحق السماء. لقد حصلت لك على فرصة العمر، إنها اكبر وأفضل صفقة تسجيلات لكنهم سيخرقون العقد اذا تورطت في قصة غرام قذرة.

ـ لن يتمكنوا من هذا.. لقد تم توقيعه وانتهى الأمر.

ـ بل يمكنهم ذلك اذا شاؤوا. فقد اصروا على الفقرة التي تتعلق بالاخلاق وهم يفعلون ذلك دوماً.

فهز طوني كتفيه بقليل من الاكتراث:

ـ كان عليك أن ترفض.

ـ أرفض عشرين مليون دولار؟ هل أنت مجنون؟

ـ انت المجنون لو ظننت أنني سأعيش كالراهب!

ـ لكن للناس نظرة أخرى، فهم يتخيلونك ذلك الفتى الريفي الذي يطمح للاستقرار حالما يقع في حب فتاة مناسبة.

ـ نظراً لمكانتي الفنية فأنا أحب حوالي أربع مرات في الأسبوع.

ـ حسناً افعل ما شئت، لكن إن ألغت شركة مايسون ريكوردز عقدك فلن تكسب من غيرها نصف المبلغ وإن كنت أنت نفسك غير مهتم فلما أهتم أنا. يمكنني إيجاد نجم آخر أدير أعماله.

أدار طوني وجهه عن طاولة الزينة ثم أسند ظهره اليها.

ـ حسناً ريتشارد، لقد نلت هدفك.. هيا قلّ لي ما الذي تريد مني فعله.

ـ ساعدني على التفكير بطريقة مناسبة لردع رونا عن خلق المشاكل لك. فما إن تعرف بأننا نخافها حتى تبدأ بإملاء شروطها علينا، وستصبح مصدر شر لنا إن حاولنا التخلص منها.

ارتفع صوت المنادي في الخارج ينذر باقتراب موعد فتح الستار، فوقف المغني:

ـ سأخرج بعد دقيقة. نتكلم بالأمر فيما بعد.

من مقعد اتخذته في زاوية الشرفة العليا للمسرح، انضمت جوانا الى جمهور المصفقين بعد أن انهت الجوقة الموسيقية معزوفتها الافتتاحية ليتوسط طوني بروكلي بعدها المسرح، مبتسماً اعترافاً باستقبال الجماهير له ثم أشار الى الفرقة الموسيقية، وما هي إلا ثوان تردد بعدها صوته الحنون المرتجف في أرجاء المسرح.

ثلاثة الآف متفرج جلسوا مسحورين، بالألحان التي ترددت على سماعهم من قبل لمرات عديدة، ومع ذلك مستعدون لسماعها أكثر

من مرة وكانوا كالغارقين في نوم مغناطيسي لمدة تزيد عن الساعة بفعل السحر الذي ينبعث من ذلك الشاب النحيل الاسود الشعر.

أسدل الظلام ستاره في آخر نغمات وصلته الأخيرة، ليحطم الصمت الذي ساد المكان، فتشابكت الأيدي لتصدر تصفيقاً حاراً.

بدأ الصراخ يتصاعد ويزداد إلى أن عادت الأضواء مجدداً، وظهر طوني بروكلي ثانية. أشار بيديه طلباً للصمت، فعم السكون من جديد، تناهت بعده للأسماع نغمات حالمة لآخر أغنية له.. مرة ثانية أسر مستمعيه.. وكانت مقدرته متفوقة لدرجة أن الجميع تفهم بعد انطفاء الأنوار أنه لن يعود مرة أخرى.

وقفت جوانا مذهولة من مقعدها، ولما رأت تزاحم الجمهور أمامها عادت الى مكانها.. فهمس صوت في أذنها:

ـ كان رائعاً أليس كذلك؟ أحسست أنه كان يغني لي فقط.

التفتت جوانا الى الفتاة السمينة الجالسة قربها وابتسمت:

ـ أظننا جميعاً نحس هكذا. الأمر الذي يجعله مميزاً.

وقفت الفتاة السمينة.

ـ أذهب دائماً الى باب المسرح الخلفي أنتظر رؤيته، أتذهبين معي؟

دون انتظار رد جوانا بدأت تشق طريقها بين الصفوف.. ترددت جوانا قليلاً ثم أعجبتها الفكرة لرؤية نجمها المفضل عن قرب، فلحقت بالفتاة.. كان الشارع في الخارج يضج بالمعجبين، لكن الفتاة بدت تعرف طريقها، فقد تراجعت الى بهو المسرح واتجهت نحو ممرات عديدة أوصلتها في نهاية المطاف إلى زقاق ضيق حيث وجدت نفسها هي وجوانا محاطتين بجمع من المعجبات، رغم ذلك كانتا على مسافة قريبة من باب المسرح الخلفي، وتابعت الفتاة السمينة شق طريقها، مستخدمة مرفقيها لتيسير المرور.

حاولت جوانا تقليدها، لكنها لم تستطع، وسرعان ما ابتعدت عنها فحوصرت بجموع المعجبين الذين كادوا يحبسون أنفاسها.. ساورها الذعر فحاولت التخلص، لكن كان الطريق خلفها مقفلاً، وإذا بسيارة كاديلاك فخمة، تتقدم في محاذاتها ببطء ويحاول رجال البوليس فتح طريق لها باتجاه الباب.

صاح أحدهم:

ـ ها هي سيارته!

وعلى الفور ازداد الجمع ضغطاً، فصرخت جوانا مذعورة، وأخذت تزاحم كالمجنونة، تمزق معطفها ورماها أحدهم نحو الجدار. فالتصقت به بقوة حتى وجدت نفسها عاجزة عن التنفس، فمدت يديها، وأخذت تقاوم ليصل الهواء إليها، ثم فجأة أحست بالجدار يتهاوى من خلفها.. لم يكن ذلك جداراً.. بل باباً فتح خلفها بأعجوبة فاندفعت الى الوراء باتجاهه، وإذا بمجموعة كبيرة من الرجال تخرج منه، مما دفعها للارتماء في احضان رجل متوسط العمر، ضخم الجثة. لم تعرف ماذا تفعل، فتعلقت به صارخة:

ـ ساعدني للخلاص! لقد جن الناس!

وقال يحاول دفعها عنه:

ـ أنت واحدة منهم.

نظر الى وجهها، كانت شاحبة اللون وقد اتسعت عيناها خوفاً، فتابع متجهماً:

ـ تعالي.. سأفعل ما بوسعي.

لف ذراعيه حولها، وقادها عبر الممر الذي فتحه لهم حوالي عشرة رجال من البوليس متشابكي الأيدي، فالسيارة التي شاهدتها جوانا منذ لحظات كانت تقف امامها. فدفع بها الرجل المنقذ الى الداخل وركب هو السيارة وراءها. تقوقعت في الزاوية لاهثة تمسح

العرق عن وجهها ولا تزال ترتجف، جلست لبضع لحظات مغمضة العينين وهي تشعر بالسيارة تشق طريقها الى الشارع ببطء ثم تزداد سرعتها، وفجأة أحست بوجود شخص الى جانبها الآخر. فرفعت نظرها لتشاهد بالإضافة الى منقذها المتوسط العمر شاباً صغير السن.

حدقت به جيداً، وتصاعد الدم الى خديها.. هذا مستحيل! دعكت عينيها، ثم كررت ذلك.. الصورة لا زالت كما هي.. إذاً لم تكن تحلم.. إنه طوني بروكلي.. ها هي الآن تجلس الى جانب الرجل الذي طالما لاحقها صوته في أحلامها وفي معظم اوقات صحوها. حدقت به مترددة فهو لا يهتم بوجودها فابتلعت ريقها بصعوبة:

ـ ما.. ماذا.. أف.. أفعل هنا؟

فقال طوني بروكلي وهو ينظر الى الرجل الأكبر سناً:

ـ هذا ما أود معرفته.

ـ لقد أنقذتها من الموت دوساً بالأقدام.. فالجماهير كانت مجنونة الليلة.

ـ إنها واحدة منهم. أنا لا امانع في أن أهب نفسي وانا على المسرح ولكنني ملعون لو فعلت هذا بعد انتهاء الاستعراض فإن معجبيّ المخلصين سيقتلونني يوماً ما.

وبخيبة أمل أسندت جسدها إلى الباب:

ـ لم أطلب أن أدخل السيارة. قد اكون معجبة بك سيد بروكلي، لكنني لا أرغب مطلقاً في التطفل على خصوصياتك. لو تطلب من السائق التوقف، أريد أن أنزل.

قال الرجل المسن:

ـ استرخي عزيزتي.. ولا تأبهي لطوني.. إنه دائماً يتوتر بعد نهاية الاستعراض. لن أتركك قبل أن تتناولي معنا الشراب.

تذكرت جوانا ما قرأته عن حفلات المجون التي يقيمها نجوم الغناء بعد استعراضاتهم، فهزت رأسها بسرعة:

ـ لست بحاجة لشيء.. شكراً.. فأنا الآن على ما يرام.

ـ لا يبدو عليك هذا، فلا تجادلي. تعالي معنا لتناول بعض الشراب، ثم سأدع السائق يوصلك أينما شئتِ، فهذا ليس كثيراً مقابل إنقاذي لك. أليس كذلك؟

ترددت جوانا، ثم نظرت الى طوني بروكلي، الذي كان ينظر خارج النافذة، وقد بدا على وجهه تعبير متحفظ:

ـ حسناً.. إن كان الأمر كذلك.. فلا مانع عندي.

ـ بالطبع.. ولا تهتمي لطوني.. سيعود بعد قليل الى طبيعته. على فكرة.. أنا ريتشارد بون، مدير طوني، فمااسمك؟

ـ جوانا لايتون.

سرعان ما توقفت السيارة أمام الفندق الذي ينزل فيه طوني بروكلي.. وسارع حارس الباب ليفتحه، فتحلق جمع من الفتيات حول السيارة.. صرخ الحارس بهن وهو يمد ذراعيه:

ـ ابقين بعيداً! تراجعن!

ـ بسرعة! فلنركض الى الداخل.

وركض الثلاثة.. لكن في الوقت الذي كانت تتحرك فيه الأبواب الدائرية لتقفل وراءهم، تناهى الى سمع جوانا صوتاً يتعالى:

ـ من هذه الفتاة! أرأيتم الفتاة مع طوني؟

ازدادت جوانا حرجاً، لكن بدا طوني وكأنه لم يسمع، وتابع سيره الى الأمام كمن كان لوحده.. إنه يتصرف بغرابة.. أين السحر الذي كانت تنسبه اليه؟

كأنما عرف ريتشارد بون بما يدور في رأسها، فأمسك ذراعها وقادها نحو المصعد:

ـ تعالي معي إلى جناحنا.. سنشعر جميعاً بالارتياح بعد أخذ شيء من الشراب.

سرعان ما وصلوا إلى غرفة جلوس مكسوة بالسجاد والأثاث الفاخر.. وقد فتحت النوافذ العريضة واسدلت ستائرها المخملية الزرقاء المضمومة على الجانبين بشريط مذهّب لتعطي الفرصة لإجالة النظر في المشهد الرائع للميناء والشاطىء المقابلان.

ـ أظن أنك ترغبين في ترتيب نفسك.. تعالي معي.. لأريك..

وأصمته رنين الهاتف، فقال طوني بسرعة:

ـ سأرد بنفسي.

ودخل غرفة النوم مقفلاً الباب وراءه.

ما إن توارى حتى التفتت جوانا الى الرجل:

ـ لم يكن مجيئي الى هنا ضرورياً سيد بون، فالسيد بروكلي لا يرغب بغرباء معه، ولا بد أنه يريد أخذ قسطٍ من الراحة بعد عمله المضني.

ـ لا يرتاح طوني إلا عندما يكون بين جمهوره. اذهبي الآن الى الحمام، وسأحضر الشراب.

ـ حسناً لطالما أعجبت بطوني وغنائه ولا يمكنك تصور شعوري عندما وجدت نفسي بقربه.

ـ أستطيع أن أخمن.

ـ إنه موهوب جداً.

ـ لكنك لست من نوع تلك المجموعة الهستيرية من المجانين الذين كانوا هناك.

ـ علقت وسط الحشد صدفة. لم أتصور نتيجة ما قد يحدث.

ـ لكنني لا أرى فيك الفتاة التي تسعى وراء هكذا حفلات.

ـ طبعاً لست هكذا.. كوني فتاة ريفية المولد والمسكن.. فأنا

من «الرارا آفيس» في هذا القرن من الزمن.

ـ أنت ماذا؟

ـ إنها كلمة لاتينية تعني «الصنف النادر».

ـ يمكنك تكرار هذا القول مرة أخرى! والآن هيا اذهبي الى الحمام.

خرج طوني من غرفة نومه بعد أن أقفلت الباب وراءها، ورمى نفسه فوق الأريكة:

ـ أحمد الله على ذهابها. لمَ اتيتَ بها الى هنا؟

ـ لكنها لم تذهب بعد.. ولو أصغيت اليّ لعرفت السبب.

ـ لا تفرض عليّ النصائح لأكون لطيفاً مع المعجبين.

ـ سأقترح عليك ان تكون لطيفاً مع نفسك.

ـ مع نفسي..؟ لست أفهمك ابداً.

ـ إذن حان الوقت لتفهم.. فالأمر جدي طوني.. لقد تحاورت مع بعض الصحافيين، وأمطروني بوابل من الأسئلة الصعبة حول رونا، ولم يقتنعوا بقولي انكما لم تكونا جادين في علاقتكما.

فضحك طوني:

ـ وماذا كنت تتوقع؟ هل تعتقد بأنهم اغبياء ليصدقوا هكذا تبرير؟!

تجاهل ريتشارد مقاطعته الساخرة وأكمل:

ـ قلت لهم إنك مغرم بفتاة أخرى وإنك استخدمت رونا كغطاء.

ـ غطاء لماذا؟

ـ لحبك لفتاة لطيفة بريئة من الريف.

نظر اليه طوني بذهول، ثم أرخى رأسه الى الخلف مغشياً عليه من الضحك.

ـ فتاة من الريف؟ لا بد أنك كنت تمزح! ولا تقل لي إنك تحبتها

في جيبك.

ـ بل في الحمام، انزع هذه البسمة عن وجهك واصغي اليّ. لقد ابتدعت القصة وكانت وليدة ساعتها وعندما رأيت ردة فعلهم، علمت أنني اصبت الهدف. كانت المشكلة الوحيدة في عدم وجود تلك الفتاة الريفية البريئة وقد أرهقت تفكيري في تدبير الأمر، إلى أن التقيت بالآنسة لايتون التي رماها القدر صدفة بين ذراعي.

فغر طوني فمه وحدق بباب الحمام:

ـ لا يمكن أن تعني...

فهز ريتشارد رأسه:

ـ هذا ما عنيته بالضبط. عندما اندفعت هذه الطفلة بين ذراعي الليلة، لا أدري ما الذي جعلني أستدرجها الى السيارة وأنقلها معنا. انت تعلم تماماً أنني لا أحب هؤلاء الصائحات المستهترات إلا أنها بدت مختلفة عنهن. وقد أثنت عليك، عندما تحدثت إليها للتو.. انتظر لحظة.. ليست كما تظن.. قلت لك إنها ليست كالمجنونات الصارخات اللواتي يقفزن كالقردة كلما سمعن صوتك. إنها متزنة ولديها كبرياء وكرامة، وهي صادقة في إعجابها بصوتك وأغنياتك. الأمر الذي أعطاني فكرة حقيقية عنها. إنها جميلة، وبسيطة، ومن المؤكد أنها ستعجب جمهورك لو أصبحت زوجة لك.

ـ زوجة؟ الآن تأكدت أنك جننت...!

وقفز من مقعده غاضباً، فسارع ريتشارد لتهدئته:

ـ الزم هدوءك.. أنا لم أقترح أن تتزوجها.

ـ شكراً!

ـ يمكنك أن تخطبها إلى أن تبتعد رونا عن طريقك.

ـ وبعدها، ماذا؟ لنفترض أن هذه الفتاة بلهاء لدرجة أن تقبل بهذا.. كيف ستعاملنا عندما أطلب منها أن تذهب عني؟ يمكنها ان

تبترنا ريتشارد.

ـ ليست من هذا الصنف.. ثق بكلمتي.. على كل الأحوال، لا داعي لقول الحقيقة لها.. دعها تتوهم بأنك قد أحببتها فعلاً! فسيسعدها ذلك. وعندما تصبح مستعداً للخلاص منها، تكون رونا قد أصبحت اخباراً من الماضي.

تقدم طوني من المدفأة ينظر الى نفسه في مرآة فوقها:

ـ إذا كانت كما تصفها لن نستطيع خداعها.

تناول ريتشارد سيكاراً:

ـ ولمَ لا؟ فهي لن تخسر شيئاً.. بل بالعكس ستمضي معك وقتاً ممتعاً، وستحصل على شهرة كبيرة من خلال الدعاية.

ـ أرجح أنها لا ترغب في الدعاية.

ـ كل الفتيات يحبين الشهرة.. حتى هذه. وتستعد كل واحدة منهنَّ للسعي زحفاً لتحظى بابتسامة من طوني بروكلي.

فرد طوني:

ـ وربما كان هذا صحيحاً لكن لا يروق لي، ولن أنفّذ مخططك... قدم لها ما تريد وتخلص منها.

ـ لو تركتها تذهب، فسأذهب معها.

ـ ها قد عدنا.

ـ لقد سمعتني جيداً طوني، وأنا أعني ما أقول. لقد أوصلتك للقمة، وإذا فعلت ما أريد، لن تتزحزح عنها، لكن بعنادك هذا ستخسر عقد مايسون ريكوردز.

ـ وماذا عن بقية الشركات؟

ـ وما الفرق بين عشرين مليوناً وعشرة ملايين؟ اللعنة! اصغي اليَّ طوني وافعل ما أقوله لك. بالكاد يمكنك أن تنقذ سمعتك بواسطة هذه الفتاة الصغيرة، لو ادَّعت بأنها قابلتك قبل تعرفك الى رونا

بيضعة اشهر.

ـ ولنفترض أنها رفضت؟

ـ إن أقنعتها بأنك مغرمٌ بها فلن ترفض.

ـ لا أستطيع تأدية هذا الدور.

ـ ليس أمامك غير هذا الحل، وإذا لم تفعل اعتبر أن أمرك معي قد انتهى..

توقف ريتشارد عن الكلام بعد أن دخلت جوانا عليهما، كانت تبدو بمعطفها الكحلي البسيط وفستانها التقليدي وكأنها لا تنتمي الى هذا الوسط.. لكن لم يخف عليهما تناسق تكاوينها وصفاء بشرتها عندما أخذا يراقبانها فسألها ريتشارد مبتسماً:

ـ كيف تشعرين الآن؟

ـ أفضل بكثير... شكراً.

ـ أوه... جيد، اجلسي للتحدث مع طوني ريثما أحضر لكما العصير، ماذا تشربين؟

ـ عصير البرتقال... من فضلك.

توجه ريتشارد نحو خزانة المشروب.. بينما أشار طوني بيده الى الأريكة المقابلة:

ـ اجلسي.. آنسة.. ما اسمك؟

ـ جوانا لايتون.

ـ حسناً، اجلسي آنسة لايتون.

وابتسم لها، لكن سرعان ما اختفت بسمته لأنها لم تبادله إياها وإنما جلست في زاوية الاريكة ووضعت ساقاً فوق أخرى بتحفظٍ عند كاحليها النحيلين المتصلين بساقين جميلي الشكل.. وتبادر الى ذهن طوني فكرة ساخرة: لا بأس بذوق ريتشارد في النساء.

ـ ما رأيك بالاستعراض؟

وللمرة الأولى تظهر جرأة جوانا من خلال عينيها المضيئتين الواسعتين فقد كانتا أكبر عينين شاهدهما طوني، وأكثر لون يتصفان به هو مزيج الأزرق والليلكي. وكذلك لم يكن الفضل في جمالها عائد للماكياج حيث استطاع أن يلاحظ أنها لم تستعمل أي مسحوق تجميل ولا حتى البودرة.. أمر لا يصدق. وردت عليه بصدق:

- كنت رائعاً. أحتفظ بكل تسجيلاتك في المنزل سيد بروكلي.

- نادني طوني... هل أنت عضوة في نادي المعجبات بي؟

- لا.. لست كذلك، فلا أرى فائدة من هكذا نوادي. أحب سماعك تغني، لكنني لم أرغب ابداً في جمع صورك، او سرقة زر من أزرار سترتك!

فضحك:

- من المريح أن أسمع هذا منكِ... اذاً، أنا في مأمن معك!

فابتسمت وأخذت كأس عصير البرتقال من ريتشارد وسألها طوني:

- أين تقيمين؟

- في ضواحي اوتاوا الريفية، قرية تدعى سبرنغ فيلد. ولا أظن أنك سمعت بها يوماً.

فقاطعها ريتشارد:

- طوني يحب الريف.. إنه متعلق بهذا النوع من الحياة الهادئة.

فنظرت جوانا الى ريتشارد بريبة:

- سبق وقلت إنه لا يرتاح إلا وسط معجبيه؟

- كنت أتحدث عن ما بعد تقديمه للعرض، يحب وجود الناس من حوله.. لكن في حياته اليومية، هو ولد ريفي في أعماقه. ألست كذلك طوني؟

- طبعاً.. أنا مجنون بحب حياة الريف. الجميع يعاشر القسيس

بينما لضابط الجيش المتقاعد علاقة بابنة عاملة البريد!

فضحكت جوانا.

- لكن تزوج الضابط عندنا لتوه عاملة البريد نفسها..!

فصاح طوني:

- هاك اسمع! ماذا قلت لك؟

فجأة فتح الباب عنوة ودخل حشد من الرجال.. وفي لحظات، حصل هرج ومرج، وظهر السقاة يحملون صواني القهوة والسندويشات، وحضر شاب المشروبات واخذ يوزعها، وتقدم رجل سمين نحو البيانو ليبدأ عزف آخر الالحان المعروفة بينما فتح آخر آلة التسجيل بصوت مرتفع.

فتمتم ريتشارد لجوانا:

- إنها «جماعة» طوني، إنهم من يدعمون كل تسجيلاته ومعظم استعراضاته.. صحيح أنهم مزعجون في صخبهم، لكنهم طيبوا القلب ويحبون طوني كثيراً.

قبل أن ترد استدعي ريتشارد الى الناحية الاخرى من الغرفة وما هي إلا لحظات حتى بدا أنه وطوني قد نسيا وجودها. فجأة لم تعد قادرة على التحمُّل.. فهي تعلم أن ثوبها الريفي الصنع لا يجعل وجودها مناسباً بين هذا الجمع.. فوقفت وحملت حقيبتها ثم خرجت من الغرفة نحو الممر الخارجي، لكن كانت على وشك الوصول الى نهايته عندما سمعت أحداً يناديها باسمها، فأجفلت، واستدارت لترى طوني بروكلي.

- لا يمكنك الذهاب باكراً؟

- يدهشني أنك لاحظت خروجي!

- بالطبع لاحظت.

- كدت تخدعني! لم أرغب بالمجيء إلى هنا بادىء الأمر سيد

بروكلي، لكن مديرك أصرّ علي.. وبما أنني اصبحت في منزلك، كان عليك على الأقل تقديمي لأصدقائك.. لا أن تتجاهلني.. وكأنني قطعة أثاث أثرية.

ـ انت هكذا تماماً، فلا أستطيع أن أعطيك أجمل من هذه الصفة.

حدقت به جوانا للحظات، ثم رفعت يدها لتصفعه، فتراجع ثم تقدم وعيناه تقدحان شرراً:

ـ أيتها الـ...

لم تنتظر لسماع شتائمه، بل سارعت نحو السلم... ولم تتوقف إلا في باحة الفندق بعد أن وصلت إليها لاهثة... هذا كافٍ لتمضية أمسية مع طوني بروكلي!

* * *

٣ ـ يدخل أحلامها

استيقظت جوانا صباح اليوم التالي متأخرة إذ أنها لم تعتد السهر الى وقت متأخر.. ومن ثم خرجت بصحبة عمتها للتسوق من مركز المدينة التجاري فأحست بشيء من التحسر لدى مشاهدتها للملابس الجميلة حيث أدركت مدى الأفق الذي عاشت ضمن دائرته في السنتين الأخيرتين ومنذ وفاة أمها تحديداً، فتلك الحادثة المؤلمة جعلتها تغلق الابواب على نفسها بعد أن كانت منفتحة على العالم الخارجي خلال فترة عملها في فندق القرية الصغير.

كانت غارقة في التفكير حول نمط حياتها هذا عندما وصل بهما القطار الى سبرنغ ڤيلد في الصباح التالي. وكانت قد خرجت الى المدينة لشراء بعض الأطعمة بعد أن وجدت الخيار أوسع، فكافحت بحملها عبر رصيف المحطة نحو المخرج.

بينما كانت جوانا تقطع الساحة المرصوفة بالأحجار المربعة القديمة الطراز سمعت صوت زمور، فاستدارت لتتعرف على سيارة بول الحمراء متوقفة في الجانب المقابل من الطريق، نزل بول من سيارته مهرولاً نحوها.

ـ مرحباً بول... أتنتظر احداً؟

ـ إنني بانتظارك منذ ساعة. قال لي والدك بأنك عائدة في القطار الباكر.

أخذ منها الحقائب والمشتريات وتوجها نحو السيارة فصعدا الى المقعد الخلفي حيث جلسا متقاربين.

ـ لما كلفت نفسك العناء بالمجيء للقائي؟.. على كل حال أنا مسرورة جداً لأنك فعلت.

ـ ما من عناء أبداً.. إنه منتهى سعادتي.. فطالما كنت أسرُّ برؤيتك جو كما أنني اردت مصارحتك.. فمنذ تلك الليلة.. كنت...

ـ بول.. أرجوك فلا داعي لتكرار ما قلته لك سابقاً لأنه لم يتغير وكذلك بالنسبة لرأيي.

ـ لا أتوقع هذا... على الأقل ليس الآن.. أردت فقط الاعتذار عن تصرفي.. أخشى أن أكون قد استعجلتك.

ـ بعدما عرفتني طوال حياتي؟ هذا قول سخيف!

ـ ربما أنا سخيف.. مع ذلك سأنتظر فلا بد انك تعرفين القول المأثور: المتمهل الواثق يكسب السباق.

ـ أنا سعيدة بصداقتنا بول، فلنبق هكذا.

ـ في الوقت الحاضر فقط، ولن أعدك بشيء للمستقبل.. فأنا أحبك، وراغب في الانتظار إلى أن تعرفي أنني الرجل الذي سيسعدك.

تنهدت وهي تصغي الى قوله، وقد لاحظت يديه المشدودتين على المقود، وعضلة فكه التي تتحرك بتوتر. فتقلصت حنجرتها إشفاقاً عليه. لكن لا جدوى! لن يجعل نبضات قلبها تخفق، ومهما فعل، فالزواج دون حب متبادل أمر لن ينجح مطلقاً.

عندما أوقف السيارة امام المنزل فتحت الباب قائلة:

ـ أتود الدخول لشرب القهوة؟

ـ يجب أن أعود.. أستخدم مديراً جديراً للمزرعة، ووجودي

ضروري فهذا أول اسبوع عمل له.

ـ شكراً لاستقبالك لي... فهذا لطفٌ كبيرٌ منك.

دخلت المنزل مدندنة.. فبدا لها المكان وكأنه هجر طويلاً رغم أن غيابها لم يدم أكثر من يومين. الزهور ذابلة في الإناء، وقد مُلئت صحون السجائر تبغاً من غليون والدها، وبحركة سريعة تخلصت من بذلتها ثم تزنرت بالمريلة لتشغل نفسها بترتيب المنزل وتنظيفه.

وفي المساء عاد والدها الى المنزل فأخذت اثناء جلوسهما الى مائدة العشاء تقص عليه أحداث الليلة السابقة، فسألها بدوره:

ـ كيف وجدت ذلك الفتى بروكلي؟ وهل كان جيداً كما توقعت؟

ـ بل أفضل، فاستعراضه الجديد رائع.

ـ أعتقد أنه استخدم الكثير من «الصخب» والأنوار؟

ـ أنت تصنفه مع باقي المغنين أبي رغم أنه الوحيد الذي لا يقفز ويصرخ على المسرح.

ـ صحيح؟ على كل، لست معجباً بهذا الصنف، وواضح أنه من نوعيتك، تبدين اليوم أفضل حالاً مما كنت عليه يوم السبت.

ـ ليس هو السبب في ذلك...

ـ لم أقل هذا، بل إنها الرحلة الى المدينة، لما لا تمضين اسبوعاً كاملاً مع دولوريس؟

ـ وأتركك وحدك؟ فإذا كانت تلك الحالة التي وجدت بها المنزل هذا الصباح دليلاً على ما يمكنك فعله في يومين...

ـ أنت تكثرين الكلام... على كل حالٍ لن أبقى لفترة طويلة أتولى شؤون نفسي كما سأطلب من السيدة مارك ان تعتني بالمنزل، فقد تمكنت من هذا خلال غيابك الصيف الماضي.

أوقف رد جوانا صرير اطارات تحفُّ بالطريق خارجاً، فدفعت بكرسيها الى الخلف متوجهة نحو النافذة وإذا بسيارة بورش حمراء

تلمع تحت أشعة الشمس الذهبية تتوقف عند الباب فترجل منها شاب طويل نحيل، يبنطلون جينز وقميص رمادي، وسترة مماثلة اللون. ما الذي أتى بطوني بروكلي الى هنا؟

وسألها والدها: «من هذا؟».

دون إجابة منها، ركضت خارج الغرفة لتقف بباب المنزل، فبادرها بصوت قوي:

ـ مرحباً! وأخيراً وجدتك!

ـ ماذا تريد؟

ـ هذا ليس باللقاء الودي! ألست مسرورة لرؤيتي؟

ـ بل أنا مندهشة. كيف حصلت على عنواني؟

ـ الأمر سهل، ذكرت أنك تعيشين في سبرنغ فيلد، فقصدت محطة القطار وسألت أحد الحمالين عنك فأرشدني إلى عنوانك.

ـ ولما تريد رؤيتي؟

فأجاب ضاحكاً:

ـ لأدرس معك بعض كتب التاريخ التي قد تعطيك الرد! ثم انني لا زلت أتألم من يدك اليمنى.

ووضع يده على خده، فقالت متصلبة:

ـ آسفة لهذا.. أنا مدينة لك بالاعتذار.

ـ بكل تأكيد، فقد أسأت فهمي تماماً.. إذ أنني لم أقصد مقارنتك بالأثاث الرخيص في جناحي.. فباستثناء ريتشارد والعازفين، كنت أغلى قطعة موجودة.

نظرت اليه بريبة، وقد أسرتها شرارات عينيه اللتين تشعان كالذهب فتضفي عليهما نظراته لمعاناً غير طبيعي.. وأكمل:

ـ حسناً آنسة لايتون، ألن تدعيني للدخول؟ هذا أقل شيء تفعلينه بعد تكبدي عناء السفر وقطعي هذه المسافة الطويلة لرؤيتك.

رغم شعورها بأنه يسخر منها، فتحت له الباب، وتقدم ليقف في الداخل.. فقالت:

ـ تفضل إلى هنا.

تقدمته إلى غرفة الاستقبال، ولاحظت في عينيه عدم الارتياح كون نظره اعتاد على اجنحة الفنادق الواسعة، حينها ادركت كم ان الغرفة صغيرة ومتواضعة حيث عجت بالزخارف والكثير من الأثاث.

وقال:

ـ أنت تملكين مكاناً جميلاً هنا.

ـ لا حاجة للمراوغة!

ـ لست أراوغ.

ـ بلى.. فأنت لا ترى أن هذا منزل جميل. لا بد أنه بنظرك كحجر في حائط بالمقارنة مع الأماكن التي اعتدت عليها.

فالتفت اليها والبسمة الساخرة قد اختفت عن وجهه:

ـ كفي عن هذا! قد أكون معتاداً على حياة البذخ، لكن ليس معنى ذلك انني لا أشعر بالضجر من نمط حياتي هذا. لو تدرين كم أتمنى ان يكون لي منزلاً كهذا اتخذه بيتاً، وليس مكاناً للاستعراض فقط.

أدارت وجهها عنه بتوتر محاولة إلهاء نفسها بترتيب قطعة من الزينة:

ـ آسفة! ليس من حقي أن أغضب.. لكنك تدفعني للتوتر.

ـ لا تبدين من النوع المتوتر.

أحست مجدداً بالسخرية في نبرات صوته فاستدارت بحزم:

ـ لست كذلك سيد بروكلي.. أنا أتوتر فقط من أشخاص أمثالك. فأنت إنسان غريب بالنسبة لي.. ليس في شخصيتك فقط بل فيما يتعلق بكل نمط حياتك.

ـ لكنك لا تعرفين شيئاً عن حياتي.. الهراء الذي تقرأينه عني هو مجرد.. كلام فارغ.. وأظن بأنه من الصعب اكتساب صداقتك.

ـ ولما ترغب في صداقتي؟ ألا تظن أنك تجاوزت الحد بمزاحك؟

ـ أي مزاح؟

ـ مجيئك الى هنا، والادعاء أنك تريد مصادقتي... أية لعبة تلعب؟ لا أفهمك سيد بروكلي.. لا يوجد بيننا شيء مشترك.

ـ بل كل شيء مشترك لدينا.

ووضع يده على كتفها وقد عبرّ وجهه عن الإصرار، ثم أدارها نحوه:

ـ أنت معجبة بصوتي.. بأغانيّ، وأنا معجب بك! وإن كنت تريدين أفضل من هذا الأساس للصداقة فصارحيني!

فافتعلت الابتسامة، وتبسّم بدوره مبادلاً مما جعله يبدو أصغر سناً وأكثر سحراً. وقال:

ـ هكذا أفضل. يمكننا أن نتحدث بعد أن تقدمي لي القهوة.

والتفت الى الوراء ليلحظ دخول السيد لايتون الغرفة، قاطعاً عليهما لحظات صدق مرا بها، فابتسم طوني متقدماً نحو السيد لايتون ويده ممدودة للمصافحة.

ـ أظنك والد جوانا. ارجو عدم الازعاج لتطفلي عليكما بصورة مفاجئة.

ـ أبداً.. أظنك صديق جوانا... فوجهك ليس غريباً عني.. هل أتيت الى هنا من قبل؟

فقاطعت جوانا:

ـ إنه طوني بروكلي.

عندها بدت المفاجأة على وجه السيد لايتون وراح يتمتم:

ـ طوني بروكلي... أتعني الفتى المغني الذي تحدثت ابنتي عنه دوماً.

فضحك طوني:

ـ لم أكن أعلم أنها تتحدث عني.. لكن شكراً لقولك هذا! فبعد ليلة أمس أجد نفسي بحاجة لإرضاء غروري ودفعه الى الأمام.

نظر الوالد الى ابنته بحيرة، وعلمت جوانا أنها مدينة له بتفسير ما يدور حوله، فأخذت تفتش عن كلماتٍ مناسبة:

ـ التقيت به ليلة امس، ولمْ أذكر هذا لك، إذ لم يكن هناك ما يقال.. السيد بون، مدير السيد بروكلي، أنقذني عندما علقت وسط حشود المعجبين خارج باب المسرح. فأقلاني بسيارتهما الى الفندق وقدما لي عصير البرتقال.

فقال والدها:

ـ أنت محظوظة إذ لم يته بك الأمر في المستشفى... ظننتك أكثر تعقلاً وتجنباً للاختلاط مع جموع المراهقين الصارخين.

فتدخل طوني بسهولة:

ـ الأشياء الجيدة في خاتمتها الجيدة... لكنني فكرت أن أحضر اليوم الى هنا للتأكد من صحة ابنتك... وأرى أنها بخير.

تجنبت جوانا النظر الى ابتسامته الساحرة وتوجهت الى المطبخ لتعد القهوة.. وحين عادت الى غرفة الاستقبال وجدت الرجلين قد اتخذا متكئاً لهما في مقعدين مريحين وهما يتجاذبان أطراف الحديث وكأن بينهما معرفة قديمة، والدها يقول لطوني:

ـ لا أعرف الكثير عن نوع عملك، لكنني شخصياً لم أستطع تحمل...

فقاطعته جوانا بسرعة:

ـ أبي! ألا تريد غليونك؟

- إنه في جيبي عزيزتي.. كما كنت أقول، نوع غنائك لا...

- أبي! هل أحضر لك التبغ؟

فقطب الوالد حاجبيه:

- لا.. لا.. إنه معي. وأتمنى أن لا تقاطعيني مرة اخرى فقد أنسى ما سأقول.

فقال طوني بطريقة فظة:

- أعتقد بانها تقصد ذلك.. وقد صرّحت لي بما يكفي لأفهم عدم إعجابك بالمغنين أمثالي.

فبدا الخزي على السيد لايتون، واستعاد دوره كمضيف، ليصلح الموقف بشكل لائق:

- صحيح أني لا أرتاح للعديد من هؤلاء.. إلا أنك تتميز عنهم بأدائك الحاناً عاطفية، كما أن صوتك ليس أجشاً.

- ربما لأنه يتلائم مع نوع الاغنيات المُستخدم فيها، لكن صدقاً لم أفهم حتى الآن ما هو السبب في النجاح الذي حققته.

ما إن سمعت جوانا بذلك حتى وضعت الصينية بقوة ليصدر عنها صوت مزعج فقد تضايقت من حديث طوني الذي لا يخلو من نقص لمكانته الفنية. فالامر الوحيد الذي عرفته خلال الاربع وعشرين ساعة الماضية، هو أن طوني بروكلي يمكن أن يحمل أي صفة إلا التواضع! كما أنها تأكدت بأن سحره لا يجذب النساء فقط، بعد أن لاحظت مدى انشداد والدها اليه. قطع عليها طوني حبل أفكارها بملامسة يده لأصابعها بعدما قدمت لهما القهوة ثم سألها:

- ما رأيك بالخروج معاً في السيارة؟

- لا أستطيع سأنشغل بشراء بعض الحاجيات من القرية وتحضير العشاء بعد ذلك.

فتدخل والدها:

- هراء.. سيفيدك الهواء النقي... ولا بد لي من تناول وجبة خفيفة الليلة كالخبز والجبن، بعد الغداء الفاخر الذي قدمته لي.

فقال طوني:

- هاك..! لا معنى لجدالك اذاً.. هيا أحضري معطفك وأنت من سيأخذني الى مكان ريفي جميل لتتناول الشاي فيه.

لم يكن ينقصها عندما جلست في السيارة «السبور» الفخمة سوى صفعة قوية تؤكد بأنها ليست في حلم إلا أن الاشجار التي كانت تتخطاها بسرعة والهواء الذي كان ينفخ في شعرها ليبعده عن وجهها كل ذلك يقظة، فتنهدت راضية. ونظر إليها طوني:

- لم ترفض أية فتاة الخروج معي من قبل. كان رفضك مستغرباً بالنسبة لي.

- ربما أنا فتاة غريبة الأطوار.

- أو أنك ذكية أكثر مما يجب كي لا تركضي ورائي.

فهمت القصد من كلماته، فاستجابت بغضب:

- لم يكن ترددي تمثيل عليك سيد بروكلي.. كما أنني لم أكن ارغب بالخروج معك.. فلم أرى أي هدف في ذلك.

- ربما لا هدف لك لكن ما المانع أن يكون الهدف لي أنا.

أخرج من جيب سترته علبة سجائر ذهبية وولاعة مماثلة:

- من فضلك اشعلي لي سيجارة.

وبتوتر، وضعت جوانا السيجارة بين شفتيها، وارتبكت في اشعال الولاعة. سحبت نفساً، أحست بعده بحرقة قوية في عينيها محاولة عدم السعال.

فتمتمت:

- اخشى أن لا أكون معتادة على هذا.

أخذ السيجارة ووضعها بين شفتيه، وأطبقهما عليها.. فأحست

بحركته الحميمة، فقد عرفت بول منذ سنوات طويلة لكنه لم يطلب منها يوماً ان تشعل له سيجارة بهذه الطريقة. وجاء صوته مقاطعاً لأفكارها:

ـ أدفع قرشا لأعرف أفكارك!

ـ كنت أتساءل إن كان من الأفضل أن نتمشى قليلاً.

ـ نتمشى؟

ـ أجل.. فالغروب في الريف جميل جداً في مثل هذه الأيام من السنة.

ثم انتبهت الى ملابسه وحذاءه الانيقين وتابعت:

ـ لكنني لا أظن أن ملابسك تناسب السير في الريف.

ـ بل أنها مناسبة.

توقفا بعد لحظات من مسيرهما في ممر ضيق الى جانب الطريق، فساعدها طوني على الاجتياز ثم سارا جنباً الى جنب في ممر ترابي حتى وصلا قرب سور متوسط الارتفاع فقالت:

ـ لو تجاوزنا هذا سنصبح في المراعي.

ـ أيمكنك تسلقه؟

ـ طبعاً، فأنا لا أرتدي تنورة ضيقة.

فابتسم:

ـ كدت أنسى أنك فتاة ريفية.

راقبها وهي تتسلق السور، ثم لحق بها، فانزلقت قدمه في حفرة موحلة، وتلطخ أسفل بنطلونه ببقع الوحل، فتمتم لاعناً وحاول عبثاً نفض الوحل عنه. فاعتذرت جوانا:

ـ أنا آسفة جداً.. نسيت أن المطر قد هطل صباحاً. من الأفضل ان نرجع الى الطريق.

ـ ليس الآن.. لن نفعل، ولن يدعوني احد بالجبان!

فضحكت، وأحست بيده تمتد لتلتف حول ذراعها وهما يسيران ي المراعي جنباً الى جنب تدوس اقدامهما العشب الناعم الكثيف. الت له تشير الى آخر السياج:

ـ انظر الى زهور الشجيرات البيضاء، أليست جميلة؟

ـ أين.. لست أرى أي عصفور.

ـ لا أتكلم عن العصافير، بل عن الأزهار.

تقدمت نحو السياج لتلامس سيقان الازهار البيضاء الزهرية، حدق بها طوني:

ـ أفضل أن لا أتكلم كي لا أبدو جاهلاً.

ـ ربما فقط في الريف، أما أنا فجاهلة في المدينة.. أتعلم أنني لا أذكر اسم مطعم أو مسرح او شارع دون النظر الى الصحف؟

ـ هذا ما أفضله. فالفتيات ذوات التجارب والعالمات بكل الاشياء والأمكنة يشعرنني بالضجر.

ـ لكن.. قد تكون السذاجة أكثر ضجراً.

ـ ليس عندما تمتزج بالذكاء.

فسخرت منه:

ـ وأنا بالطبع ذكية جداً!

ـ ذكية، صادقة، وجميلة.

غمر وجنتيها لون وردي مما زاد في جمالها الممتزج خجلاً وتابعت السير مسرعة. وبصمت تسلقا سفح تلة، وقد داعب أقدامهما نزحلقاً العشب الرطب وجذور الأشجار البارزة. عند القمة، توقفا بعد ذلك ليستريحا الى جذع شجرة سنديان ضخمة فامتثلت امامهما الى الأسفل لوحة من طبيعة الريف امتداداً من أراضي المراعي المتدرجة المساحة والمتماوجة الاخضرار وصولاً الى النهر الذي تراءى لهما من بعيد وكأنه لآلىء تلمع تحت أشعة الشمس المائلة

للغروب. وامتدت على بعد ميل منهما مجموعة شجيرات مبعثرة وقد التفت بشكل لولبي وكأنها رسمة ولد صغير. وقالت:

ـ ألا يستحق هذا عناء التسلق؟!

ـ وما هو؟

ـ المنظر. ألم يعجبك؟

وللمرة الاولى بدأ يجول بنظره فيما يحيط به:

ـ اوه.. المنظر؟ طبعاً إنه عظيم. لم أشاهد مثله منذ سنوات، لكن بما أننا انتهينا من مشاهدته فلنبحث عنْ مكانٍ نتناول فيه الشاي.

احست ببرودته لعدم إعجابه الواضح بالمناظر الطبيعية، فدعته للنزول من الجانب الآخر للتل:

ـ يوجد مقهى في مزرعة على الطريق المؤدية الى البحيرة، لا يبعد كثيراً من هنا.

ـ حسناً.. فلنرجع الى السيارة.

ـ لن نستطيع الذهاب بالسيارة... انه في الجانب الآخر من الحقل.

ـ الجانب الآخر من.. اوكي.. فلنذهب.

ـ بإمكاننا تناول الشاي في المنزل إذا كنت تفضل هذا. أو نذهب إلى فندق القرية.

ـ لقد شاهدته اثناء قدومي الى منزلكم.. إنه تقليد للقصور القديمة.. اليس كذلك؟

ـ لكنه ليس تقليداً.. بل اصلي.

ـ لا يعجبني.. وإذا تواجدنا هناك ستقابلين الناس. بينما أود أن تكوني لي وحدي في هذه اللحظات.

أحست بالقبول، رغم محاولتها بألا تبدو كذلك، وسارت معه جنباً الى جنب. وصلا الى أرض مستوية وسارا بمحاذاة نهر صغير

يتدفق من التل، ثم قطعا جسراً خشبياً باتجاه منزل في مزرعة ريفية، تظللها غابة من اشجار الحور والصفصاف، مبنية في تجويف داخل المراعي... لوحة خشبية مثبتة على أحد الاشجار مكتوب عليها باليد «شاي». حولها بضعة طاولات محضرة وعليها اطباق الصيني البراقة.

جلست جوانا الى طاولة تحت شجرة توت كبيرة وقد نضجت ثمارها بفعل أشعة الشمس.. كانا الزائرين الوحيدين في المزرعة، وتقدمت اليهما امرأة تلف وسطها بمئزر أبيض لتضع نفسها بخدمتهما، وعلى الفور وضع طوني نظاراته السوداء الكبيرة ليختفي نصف وجهه.

فقالت جوانا:

ـ إن كنت تتضايق من حدة الشمس فلنجلس في الظل.

ـ لا.. لا.. أحب الشمس. لكن لا أريد ان يتعرف عليَّ أحد.

فابتسمت:

ـ تبدو في هذه النظارات مثيراً للفضول أكثر مما لو كنت بدونها.

ـ ربما.. لكنني افضّل أن أكون غريباً مريباً ولا أعرف.. اطلبي الشاي أنت.

وسألت المرأة:

ـ أترغبان في الشاي الخصوصي الذي ننفرد به؟ لدينا بيض طازج، وخبز بيتي، وتوست مع زبدة بيتية وحليب طبيعي.. إذا أحببتما.

لاحظت جوانا بطرف عينيها أن طوني قد فغر فمه.. عندما اقترح تناول الشاي كان يفكر أن يحصل معه على كرواسان او بسكويت باللوز... وبخبث متعمد طلبت الشاي الخاص وتوست بالزبدة، ومربى الفريز المنزلي.

وبعد أن توارت المرأة سألها طوني:

ـ لما طلبت كل هذا؟ ستغضب لو تركنا الأكل كما هو.

ـ أنا واثقة أنك لن تتركه. لن تستطيع قيادة سيارتك أثناء عودتك الى المدينة دون أن تتناول وجبة لائقة. لديك حفلة الليلة.. أليس كذلك؟

ـ أنا لا أتناول الطعام قبل الحفلة... بل بعدها.

ـ أي ليس قبل منتصف الليل!

ـ أنا معتاد على ذلك.. يا الهي مرت سنوات لم أجلس فيها هكذا لأتناول وجبة مع الشاي.

ـ أنت من دعوتني.

أحست بالأسى عليه للذهول الذي أصابه لدى رؤية المرأة عائدة تحمل صينية مليئة: بيض مسلوق لماع في أوعية صفراء لماعة، خبز اسمر رقيق، توست، طبق من مربى الفريز، وزبدة ريفية صفراء لامعة... مع ابريق صيني ضخم من الشاي الاسود القوي.. فسألها طوني فزعاً:

ـ أتعنين أننا سنأكل كل هذا؟

ـ بعضها على الأقل، وفي المرة القادمة كن حذراً عندما تدعوني.

فكشر عن وجهه:

ـ لقد طلبت كل هذا قصداً... أليس كذلك؟

فردت عليه بطريقته الساخرة:

ـ أنت تفهم بسرعة.

فاشتد ضغط فمه، وللحظات بدا متوتراً كحد السكين، ثم تغلب عليه مرح الموقف وانفجر ضاحكاً.

ـ أنت لست بلهاء كما تبدين جو...

وصمت محمرّ الوجه عندما أدرك غلطته، ثم تابع:

ـ أنا آسف أظن أنني لم أكن اعني كلمة بلهاء.

ـ ما رأيك بكلمة ساذجة!

وبدأ يأكل.. مع أنه توقع عدم رغبته في الطعام، إلا أنه عندما بدأ، التهم زيادة على حصته ومسح الخبز بالمربى والزبدة كما سكب الشاي في فنجانه ثلاث مرات.

قال وهو يمسح بقايا الزبدة عن أصابعه:

ـ هذه ألذ وجبة تناولتها منذ سنوات. سأطلب من ريتشارد تحضيرها بعد ظهر كل يوم.

ـ لن تكون شهية كوجبة المطعم.

ـ أعتقد هذا.. وهذا ما سيدفعني للعودة الى الريف... كما أنني لست بحاجة الى دافع كي آتي لرؤيتك.

ـ لا تفعل هذا.

ـ أفعل ماذا؟

ـ لا تقل اشياء كهذه، فأنا أعرف أنك لا تعني ما تقول.

ـ لكنني أعنيه.. فأنا أرغب بالعودة لرؤيتك مرة أخرى.

فقالت بهدوء:

ـ لا أفهم السبب... فنحن على طرفي نقيض. وأرجوك، لا تكرر الأقوال التي أسمعها يومياً عن الجاذبية. لا بد أنك تعرف فتيات أجمل مني بكثير.

ـ الجمال وحده سرعان ما يصبح مصدراً للضجر. آسف اذا كان كلامي يبدو مبتذلاً.. مكرراً.. لكن...

فقاطعته:

ـ كلامك ليس مبتذلاً. لكن الحياة التي تعيشها تجعلني أؤمن انك تفكر هكذا.

ـ لكنك لا تعرفين طريقة تفكيري. فأنا أحياناً لست حتى..

اللعنة جو... لمَ الكلام عن الماضي؟ أنا هنا، وبالتأكيد يعني هذا لك شيئاً؟

ـ أجل، إنه يعني لي شيئاً... لكنني لا أدري ما هو.

ـ إنه يعني أنني أريد أن أكون معك جو... وأنني أجدك مثيرة للاهتمام ولطيفة و... جميلة.

ـ لكنني عادية جداً.

ـ لست عادية. لكنك لا تعرفين قدر نفسك، هذا كل شيء، وستصبحين مذهلة عند أقل تغيير.

فتصاعد امتعاضها:

ـ لا أريد أي تغيير، شكراً لك. إن لم تعجب بي كما أنا فبإمكانك العودة من حيث أتيت.

فرد بنعومة:

ـ لكنني معجب بك. وسأجعلك تفهمين أنني لا أعتبرك عادية.

ونظر الى الطاولة التي فرغت أطباقها من الطعام، وتابع:

ـ سأعيدك الآن الى المنزل، وسنقف في طريقنا عند أول مقهى لتناول شراب مرطب.

نظرت إلى سترتها القطنية القديمة، وفستانها الصوفي المحبوك باليد، وهزت رأسها:

ـ أنا لا أرتدي ما يلائم أية سهرة.

ـ بالتأكيد ترتدين ما هو ملائم، فأي شيء يناسب هذه الأماكن الريفية أكثر من ملابسك؟ نادي السيدة لتعطينا الفاتورة وسنذهب.

كان الوقت يميل إلى المغيب، والظلال تمد أصابعها عبر المراعي وهما متجهان إلى ضواحي القرية، على بعد بضع كيلومترات استقبلتهما أضواء تظهر وتختفي لتعود مجدداً، تشير الى المقهى المرحب بالمسافرين. ووجه طوني سيارته إلى موقف

السيارات الفارغ.

ـ لا يبدو أن هناك أحد.. ومن الأفضل أن نجده فارغاً.

لحقت جوانا به متوترة عبر المدخل المضاء، متمنية لو كانت بعيدة عنه في هذه اللحظات:

ـ أنت واثق أنك لن تتأخر عن المسرح سيد بروكلي؟

فضغط على ذراعها:

ـ بكل تأكيد آنسة لايتون.. واسمي طوني.. كم مرة سأقول لك؟

أجلسها الى طاولة بالقرب من آلة اسطوانات، وقال لعامل المقهى وهو يتجه الى الآلة:

ـ كوبان من الكوكتيل.

وانتقى ثلاث اسطوانات وضعها فوق بعضها:

ـ هذا يكفي الآن.

مد يده ليوقفها عن الكرسي ويأخذها بين ذراعيه.

ـ أنا.. لست راقصة ماهرة.

ـ ولا أنا، لكنها الطريقة الوحيدة للاقتراب منك دون إخافتك!

احمرّ وجهها، فأطرقت، فألصقها به وبدأ يتنقل معها في باحة الرقص الصغيرة بين الطاولات، وهمس في اذنها:

ـ أنت نضرة جداً وغير مدللة. لطالما تشوقت لضمك اليّ طوال اليوم.

وبجهد كبير تمكنت جوانا من أن لا تنجرف في سحر اللحظات ولا بالموسيقى الحالمة.. فهي بالنسبة لطوني بروكلي نزوة عابرة. فتاة رفضت أن يتمكن منها ويتغلب عليها، ممّا زاد في تصميمه على جعلها ترضخ له.

كانت الساعة تقارب السابعة والنصف عندما وصلت السيارة

الحمراء الذهبية الى منزل آل لايتون، ولم تكد تتوقف حتى ترجلت منها جوانا مسرعة فهي تخشى أن يطلب طوني رؤيتها مجدداً ورغم كلامه المعسول فأن هذا اليوم لن يتكرر في حياته وسرعان ما سينساها عندما يلتقي بفتاة أخرى.

قالت له بمرح:

ـ شكراً طوني.. لقد تمتعت بوقت رائع.

ـ وأنا كذلك.. متى أراك ثانية؟

ـ لست أدري، فنادراً ما أذهب الى المدينة وأثق بأنك مشغول جداً ولن تستطيع المجيء الى هنا.

ـ من المؤكد أني مشغول.. لكن إذا لم يأتِ الجبل اليك... واظن أنك تعرفين بقية المثل.

ـ أجل.. ولكن...

ـ متى نلتقي إذن؟ لن أستطيع الوقوف لأتوسل اليك جو... فقد تأخرت، وسأقود السيارة كالمجنون لألحق موعد العرض.. ويجب أن أراك قريباً. كنت أود أن أشرح لك سبب إصراري لولا شعوري بالأعين التي تراقبنا من وراء كل نافذة!

فاحمرّ وجهها:

ـ تجدني دائماً في المنزل طوني. وإذا كنت تريد حقاً...

ـ بل أريد.

أمسك بيدها مودعاً، فهمست له:

ـ ارجوك اذهب.. ستتأخر.

قال وعلامات النصر تبدو في عينيه:

ـ سأعود غداً إنما في وقت باكر بخلاف اليوم لنتغدى معاً.

ـ لكن.. أنا معتادة على تناول الغداء مع ابي.

ـ برّري له أنك ستتغدين معي كنوع من التغيير.

بعجرفة، ودون انتظار ردها، قفز داخل سيارته فارتجت هادرة تحت قدميه وسرعان ما توارت عن نظر جوانا.

ولعشرة ايام تلت أصبحت البورش الحمراء سيارة مألوفة في القرية، فكلما كان الطقس جيداً ذهبا إلى البحيرات أو إلى قلب الريف. واعتاد طوني أن يغادر القرية بعد عودة والدها من العمل مباشرة ولم تشك بالتنافر بين الاثنين، وأدركت أن السبب هو بول فوالدها ما زال ينظر إليه كحبيب لها ولا يرى في طوني إلا منافساً له.

وفي إحدى الأمسيات، ولدى عودتهما من المراعي بعد قضاء يوم ممتع أخذت تفكر ملياً بعلاقتهما، وأحست بالأسى لحالها. انتبه طوّني لتغيّرها فسألها بعد أن خفف سرعة السيارة:

ـ ما بك؟ انت تتنهدين منذ عشر دقائق تقريباً.

ـ لا شيء.

ـ لا يمكنك الانكار، فأنت لست من النوع المتقلب المزاج.. أمر ما يزعجك، وأريد معرفة السبب.

ـ كنت أتساءل إلى متى ستستمر في الرغبة برؤيتي.

ـ لماذا، أضجرت مني؟

ـ ظننت العكس. ربما ستضجر أنت من المجيء يومياً الى هنا.

ـ وبعد؟

ـ بعد.. أنا.. أنا.. مستغربة كونك لم تطلب مني الذهاب الى المدينة.

بقي صامتاً للحظات وهو يفكر، ثم سأل:

ـ ولما تظنين أني لم اطلب منك ذلك؟

ـ لست أدري.

ـ أيتها الكاذبة.. هيا.. قولي لماذا تظنين انني أتعمّد عدم إظهارك.. فأنت تعرفين.. أليس كذلك؟

بعد أن علم بما تفكر وجدت تخيلاتها لم تعد ذات قيمة، فكم تمنت ان لا تطلعه على حقيقة مشاعرها.

ـ حسناً.. أظنك تخجل بي.

بدت الدهشة الحقيقية على وجهه:

ـ أخجل؟

فعلمت أن هذا ليس السبب، فتابعت:

ـ ربما أنت.. خائف.. أنا لا أليق باصدقائك.

ـ ليس لدي اصدقاء.. غير الجماعة الذين يدعمونني. وهم بالواقع ليسوا أصدقاء حقيقيين. لا.. يبقى السبب في عدم إظهاري لك أنانية مني.

رمقها بنظرة حادة، وكأنه يتحدى تكذيبها له، وأكمل:

ـ ما أن نشاهد معاً، حتى نكون موضوع الساعة في كل صحف البلاد.. وما هي إلا محاولة لأجنبك ذلك اليوم المشؤوم إلا إذا كنت تفضلين...

ـ لا.. لا أريد.. لنبقي الأمور كما هي الآن فقد توضح لي السبب.

ـ لا يا جوانا... أنت محقة. لن استطيع ابقاؤك مخبأة الى الأبد.. وريتشارد يظن الأمر.. اسمعي لماذا لا تأتين لحضور حفلة الغد، وسنخرج بعد الحفلة معاً لنحتفل؟

ـ نحتفل بماذا؟

ـ بمرور اسبوعين على تعارفنا. ليس لدي حفلة يوم الأحد، لذا ستتمكن من السهر كل الليل.

ـ لكن يجب ان أعلم عمتي، فسأقيم عندها.

ـ بل سأحجز لك غرفة في فندقي.

ـ لا.. لا.. أفضّل العودة إلى هنا إن لم أبق عند عمتي.

فرد متوتراً:

ـ لكنك ستكونين بأمان في الفندق.

ـ لست خائفة، لكن والدي متعصب ومتمسك بالتقاليد ذات الطراز القديم.

ـ وكذلك أنت. لكن آن لك أن تتأقلمي مع هذا القرن فأنت تعيشين فيه جو، لم نعد في ذلك العصر الذي ينتظر فيه الجميع ليلة الزفاف ليتعرفوا الى بعضهم.

ـ أعرف هذا.. لكنني لا زلت أفضل إلى أن اصبح زوجة...

وصمتت، ماذا لو تغيرت معاملة طوني واراد مغازلتها؟

تلاشت فرحة جوانا بالسهرة المرتقبة لدى إلقاء نظرة على ملابسها وثوب السهرة الوحيد الذي تملكه.. لكن ستبالغ لو اشترت ثوباً تقتنيه كما لو كانت سترتديه في مناسبات كثيرة فهي واثقة أنها لن تبقى كثيراً في حياة طوني إذ من المعروف عنه عدم بقاؤه مع فتاة واحدة لفترة طويلة.. ومن أنواع الدعايات له ان يشاهد مع العديد من الأناث الرائعات الجمال.

تلقت جوانا مهاتفة خاطفة في اليوم التالي تؤكد أن عمتها ترحب بها في منزلها.. وبعد الغداء استقلت أول قطار متجه الى أوتاوا وفيما القطار ينطلق من المحطة لمحت سيارة بول تقطع الشارع المقابل، فأحست بالذنب لتصرفاتها معه وسرعان ما وجدت العذر لنفسها حيث أنها لم تشجعه على حبها فقد أوضحت له في كل مناسبة استحالة الزواج منها، ولا بد أنه أدرك جدية تصريحها.

سرت العمة دولوريس كثيراً برؤية ابنة اخيها وقد تشوقت لمعرفة سبب الزيارة، ولم تصدق ما سمعته:

ـ تخرجين مع طوني بروكلي؟ لم أكن أعلم أنك تعرفينه.

وشرحت لها جوانا ما حصل.. فقالت المرأة المسنة:

ـ أرجو أن لا تتألمي في النهاية.

ـ ولماذا أتألم؟

ـ أيعقل أن تسألي هذا السؤال؟ لست فتاة غبية جوانا.

ـ لكن لا أريد في الوقت الحاضر أن أفكر بالمستقبل فهو يمنحني وقتاً رائعاً، ونحن صديقان طيبان.

تمكن التاكسي الذي استقلته إلى المسرح من الوصول الى المدخل بصعوبة. وقال لها السائق:

ـ أرجو أن يكون بحوزتك بطاقة وإلا لن تتمكني من الدخول.

دفعت له الأجرة وهي تبتسم ثم نزلت لتشق طريقها الى بهو المدخل، المشدَّد الحراسة. وقال لها حارس الباب:

ـ لم يعد هناك أماكن.. ولا يمكنك الدخول دون بطاقة.

ـ ترك طوني بروكلي بطاقة خاصة بي.. أريد فقط الحصول عليها.

ففتح لها الباب:

ـ اوه تفضلي إذن.

أخذت بطاقتها من شباك التذاكر وعندما علمت أنها ستجلس في الصف الخامس الامامي ازدادت إثارة وتشويقاً فكم أن الوضع مختلف بين هذه الليلة وتلك الأخيرة التي شاهدت فيها حفلة طوني عندما اتخذت مقعداً بعيداً عن المسرح وكأنها ذبابة حطت على سقف.

اخيراً، أُطفئت الانوار، ورُفعت الستارة مُظهرة فراغ المسرح إلا من أربعة موسيقيين مكثوا في الزاوية، إنهم اصدقاء طوني الوحيدين كما يسميهم والتزم الحضور الصمت في جوٍ مشحون بالإثارة المتفجِّرة صراخاً وزعيقاً لدى دخول طوني الى المسرح. وأحست جوانا ساعتئذٍ ان طوني الرجل، وطوني المغني، شخص واحد، فكلا الشخصيتين تتحدان لتثيرا في نفسها المشاعر لأنه الرجل الذي يستحيل

انفصام شخصيته ولا بد لها أن تحب فيه كل شيء، موهبته، صوته، غنائه وسحره ممَّا يعني أن من يحبه عليه تقبُّل هذه الأنواع المختلفة في حياته والتي تمثل جزءاً من شخصيته المتعددة الوجوه، لكن لمَ تفكر هكذا فهي تعرفه منذ بضعة أسابيع فقط، وربما خرج من حياتها بعد بضعة أسابيع ايضاً.

النشيد الوطني وحده يمكنه إيقاف الجمهور بصمت باستثناء بضع صيحات هستيرية تهتف باسم طوني.

وبعد انتهاء العرض سارعت جوانا الى المخرج لتصل الى البهو حيث قالت للحارس الذي أدخلها أول الحفلة:

ـ أنت تعلم أن السيد بروكلي ترك لي تذكرة، وأؤكد لك أنه يتوقع رؤيتي.

ـ لا بأس في هذا يا آنسة، انتظري دقيقة وسأوصلك بنفسي.

لحقت به بعد قليل إلى باب كتب عليه «مخرج حريق» أخرجهما الى ممر ضيق يوصل الى أحد جانبي المسرح وقال لها:

ـ اذهبي في الممر المقابل لنا، وادخلي ثالث غرفة يساراً.

ابتسمت شاكرة، وما هي إلا لحظات حتى كانت تقف بالباب تقرعه إلا أن أحداً لم يجب فاستندت الى الحائط قربه.. سمعت أصوات كثيرة كانت تنبعث من الداخل، فأدارت مقبض الباب ودخلت وكادت تتراجع إلى الخلف من شدة الزحام لولا أن شق مدير طوني طريقه إليها.

ـ أحمد الله على مجيئك! توقعنا أن تكوني بين الواصلات.

ـ لم أكن واثقة أنه يرغب في رؤيتي عندها فهو...

ـ بل يريد رؤيتك! من غيرك يملك الحق في البقاء معه؟ سأجعلك تقابلين بعض رجال الصحافة ومن الآن وصاعداً ستصادفين الكثيرين منهم.

وعلا صوت رجل يسأل:

- من هذه ريتشارد؟

- صديقة مميزة لطوني.

فقال ساخراً:

- أو لسن جميعاً كذلك؟

- بل إنها أكثر من مميزة.

سألتها امرأة قاسية الوجه:

- منذ متى تعرفينه؟

فأجاب ريتشارد:

- منذ مدة طويلة.

وأمسك بذراعها وسار بها نحو باب محاط بسلال الزهور.

- ادخلي واقفلي الباب وراءك.

ففعلت، لتجد نفسها في غرفة صغيرة، أكبر بقليل من حمامها. كان المكان شديد الحرارة وساطع الأنوار وفيه كرسيان خلف طاولة زينة تحمل مختلف أنواع أدوات التجميل، لكن لم يلفت نظرها سوى الرجل الجالس إلى الطاولة يسرح شعره.

- طوني! أشكر الله لأني وجدتك!

فاستدار:

- مرحباً حبيبتي. لقد أنهيت تبديل ملابسي للتو.. ما كان يجب أن تدخلي عبر غرفة الملابس، لو استخدمت هذا الباب، لتجنبت الناس المحتشدين خارجاً.

- لو كنت أعلم! هؤلاء الصحافيين يوترون اعصابي.

- لا بأس، عندما تعرفينهم.. الأمر الأساسي البقاء باردة معهم. اجلسي حبيبتي، أتودين شرب شيء؟

- لا، شكراً لك.

- هل أعجبتك الحفلة؟

- لا حاجة للسؤال. كنت رائعاً.

- أحب سماع هذا.. إنه يزيدني ثقة. تابعي القول لي كم أنه رائع، وسأبقى أقول لك إنني أحبك.

استدار فجأة ثم امسك بيدها ليقفا:

- لا تظهري الخوف جو.. ستتمتعين بهذه السهرة أعدك. أسمعت يوماً بملهى «الشموع الخضراء»؟

- لا لم أسمع به ابداً.

فربّت على كتفيها:

- هيا بنا إذن.. علينا أولاً مواجهة الوحوش في الخارج.

- ألا يمكننا أن نتسلل من هنا؟

- سيقتلني ريشارد لو فعلت، فالدعاية أساسية لي جو.. إنها تسهّل بيع اسطواناتي وتبقي اسمي في الصفحات الأولى.

في تلك الغرفة، تعرفت جوانا على وجه آخر لطوني، وتساءلت عن تقلبات شخصيته. شاهدته في مرحه وتجهمه، في غضبه ولطفه، وها هي الآن تشاهده في شجاعته ودماثة خلقه، يجيب بسرعة على الأسئلة السهلة والمزعجة وكلها تتعلق بحياته الغرامية. وأحست بنظرات الفضوليين تلاحقها، وتمنت لو أنهما اتفقا على اللقاء في مكان آخر.

فجأة أمسك بيدها متجهاً بها نحو الباب ثم أدار رأسه الى الخلف صارخاً:

- هذا كل شيء الآن يا رفاق. لكن تعالوا الى الفندق صباحاً، فقد يكون لدي أخبار لكم.

اقفل الباب خلفه ليحول دون تدفق سيل جديد من الأسئلة، وركضا في ممر حجري، ثم صعدا بضع درجات ضيقة، وصلا بعدها

الى سطح المسرح، وأخذا بالهبوط عبر سلمٍ حديديٍ ينتهي الى فناءٍ خلفي.

- هذا الممر لا يعرف به المعجبون.

- وإلى أين يقود؟

- إلى معمل ألبسة!

أدخل مفتاحاً بحوزته في باب خشبي ودفعه لتجد جوانا نفسها في غرفة مستودع، ثم قطعا بضعة ممرات ليبلغا باباً آخر، فقالت له ممازحة:

- أرجو أن لا يلقي أحدهم القبض عليك لتسللك خلسة الى هنا.

- أنت تمزحين! لقد تدبر ريتشارد الأمر مع اصحاب المخزن. قدمت لهم بضعة مقاعد للاستعراض فأعطوني الأذن بالمرور مع المفاتيح!

استعمل مفتاحاً آخر فانتهيا في زقاق مسدود بسيارته الكاديلاك اللماعة.. وابتسم وهو يدعوها للدخول إليها:

- عربتك تنتظر سيدتي!

- لماذا لم تستخدم هذا المخرج في الليالي السابقة؟

- لا مصلحة لي في الاختباء دائماً من المعجبين. لا استخدم هذا الممر إلا للضرورة الملحة.

ملهى «الشموع الخضراء» كل شيء فيه كما تصورته. ضخم ولكن جوه حميم. الاضاءة خافتة، والموسيقى توفرها جوقة صغيرة.

- طلبتُ الوجبة سلفاً.. أريد أن تكون هذه الليلة للذكرى.

وفيما الوقت يمر لاحظت أنه يقوم بجهد كبير لتسليتها، أخبرها عن حياته قبل الشهرة، أعاد ذكر أحداث حصلت في بداية صعوده سلم الشهرة. كل تلك الأحداث مثيرة للدهشة، وتمنت لو يطمئن إليها ويخبرها عن آيامه الصعبة عندما كان يغني في الملاهي الريفية،

ويتجول من بلدة الى أخرى.. تلك السنوات مر عليها مرور الكرام.. وبالرغم من كل ما قرأته عنه وما يسرده الآن بقي جانباً من حياته، لم يشأ الافصاح عنه.

فسألته:

- ماذا عن حياتك قبل البدء في الغناء؟

- لم يكن لي حياة يومها.

وأشار الى الساقي، لتتقدم منهما عربة مليئة بمختلف أنواع الحلوى والعصير، فرفعت حاجبيها:

- أيفترض أن نأكل ونشرب كل هذا؟

- ولمَ لا.. ألسنا نحتفل!

- نحتفل بماذا؟

رفع أكمام قميصه فظهر الشعر الأسود الكثيف في معصميه وقد حمل وجهه النحيل تعبيراً كئيباً بينما انضمت شفتاه الرقيقتان بقوة وكأنهما تشكلان خطاً مستوياً. من خلال ضوء الشموع الخافت لاحظت عروق أوداجه التي تنبض بسرعة فأخذت الكوب الذي سكبه لها الساقي.

- لا تشربي جو.. أريد أولاً طلب شيء منك.

عض على شفته مجبراً نفسه على الاسترخاء.. فسألته:

- ما خطبك طوني؟ تبدو غريباً.

فرد متجهماً:

- أشعر بالغرابة... أتتزوجيني؟

ارتجف الكوب في يدها لينسكب منه العصير على الطاولة وقالت بصوت مرتجف:

- لا يمكن أن تكون جاداً!

فأمسك بيدها:

ـ لم أكن جاداً طوال حياتي كما الآن.. يجب أن تتزوجيني جوانا... أرجو أن تقولي نعم.

* * *

٤ ـ ضاعت معه

كانت خيوط الفجر تنبلج من الأفق عندما غادرت جوانا وطوني الملهى، ولاحظت اثناء الطريق أنه لا يقود السيارة باتجاه منزل عمتها!

ـ لا داعي لأن تعودي الآن، سآخذك الى الفندق، حيث نتكلم بحرية هناك.

ـ لكن تكلمنا الليلة ما فيه الكفاية.

ـ لم نكن وحدنا.

أوقف السيارة في باحة الفندق الخارجية وأدخلها الى الجناح الذي يعتبره طوني منزلاً له في المدينة.

بعد ان أقفل الباب مباشرة، شدها اليه معانقاً فأحست بالرجفة في جسدها، وكادت تقع لولا أنه يحكم الإمساك بها. وإذا به يهمس:

ـ أنت بريئة ساذجة، وسيسعدني أن اعلمك الحب.

أحست بان كلماته قد أثارت الخوف في نفسها فحاولت التراجع:

ـ طوني.. لا تفعل هذا!

ـ ولمَ لا...؟ أنا اريدك.. وأنت حلوة، لا اعرف حتى الآن مدى رغبتي بك.

لفت ذراعيها حول عنقه، وأغمضت عينيها، تتحسس أنفاسه تداعب خدها، ورموشه الطويلة تلامس بشرتها.. ولا يمكنها مقاومته

فهي تحبه كثيراً، وتحركت يداه تداعبانها... وفي تلك اللحظة تراجعت، لتوقف الحركات التي كانت تصدر من اصابعه. فهمس:

- لن أؤلمك... دعيني فقط أحس بك.. بدفئك.. بنعومتك.

فتمتمت بالاحتجاج الضعيف.. استكانت، وغمرتها الحرارة، مرتجفة، ما من رجل لامسها أو عانقها هكذا من قبل. وسمعته يقول:

- جو.. تعالي معي.

قطع العناق ليمسك بيدها ويجرها نحو غرفة النوم، فاحست بالخجل يغمرها:

- طوني.. لا.. لن استطيع!

- لا تكوني سخيفة.

- لا أستطيع.. أرجوك افهمني حبيبي.. لا أستطيع!

بقي جامداً للحظات، تعلو الحمّرة وجهه، ويبدو اللمعان في عينيه. ثم قال بخشونة:

- حسناً... لكن لا يمكنك ان تنكري التجاوب الذي يبدو في كلينا.

- لم أقل هذا ابداً. اوه طوني... لم أكن أعلم أن الأمر سيصبح هكذا.

- ولا أنا.. لم أدرك مطلقاً انني...

وماتت الكلمات على شفتيه فصمت للحظات ثم ضحك متوتراً:

- هذا فعلاً أمر يدعو للاحتفال! ماذا تشربين؟

- لا شيء.. لقد احتفلنا ما فيه الكفاية. وقد تأخر بنا الوقت كثيراً، ألا تظن أنه من الأفضل لنا أن نغادر؟

- أمامنا متسع من الوقت.

- لكن أصبحت الساعة الرابعة.. وعمتي دولوريس تستيقظ بعد

قليل! ارجوك اوصلني الى المنزل.

- لمَ لا تبقين هنا؟

- أين؟

- لدينا غرفتي نوم في الجناح.. يستعمل ريتشارد واحدة منهما أحياناً ولا حاجة لأن تشاركيني الغرفة ان لم يكن لديك رغبة.

فاحمر وجهها بشدّة:

- تعرف أنني ارغب.. لكنني لم.. أعني أنني لم أفعل...

- أعرف هذا.. ولكنك لن تبقي هكذا الى الأبد!

كان وقع كلماته عليها كدوش من الماء البارد، ممّا عكّر مزاجها وأشعرها بالخوف. فقالت مرتجفة:

- كلامك قاسٍ.. أهو من طبعك أم عادة اكتسبتها..

ارتسمت على خديه بقع حمراء، وردّ متأسفاً:

- أعتذر جو. أنت محقة بالطبع، هذه عادة عندي. فلا قيمة للعذرية في العالم الذي أعيش فيه.

- يبدو أنها محتقرة أيضاً. ولا أرى سبباً لزواجك مني ويبدو انها الطريقة الوحيدة للحصول عليّ.

بدا الاعجاب على قسمات وجهه الذي ازداد احمراراً:

- لقد نسيت أن لديك لساناً لاذعاً. انك تخطئين في افتراضك فلو كنت أريد رفيقة فراش أستطيع الحصول على عشرة، لكنني أريد من أستطيع... أن.. أتقرب منها... من ترى فيَّ الصديق.. والرفيق.. لا وسيلة للتمتع فقط... يبدو لي ان الوقت قد سمح الآن لأعيدك الى المنزل.. هيا بنا حبيبتي.

خيَّم الصمت عليهما وهما يغادران الجناح الى السيارة، وسط الشوارع المطفأة الأنوار.. حيث النهار بدأ بإضفاء لونه الرمادي.. كان طوني يقود بسرعة في الشوارع الخالية ولم يخرق صمته الا بعد

إيقافه السيارة امام منزل العمة دولوريس:

- لدي عمل مكثف خلال الأسابيع المقبلة جو.. عندي اليوم تسجيل أغاني، وإقامة حفلة خيرية.

- أتعني أنك لن تتمكن من الذهاب الى القرية؟

- بوسعي ذلك.. لكنني أفضّل عدم الحضور. لأن المسافة تستغرق ثلاث ساعات ذهاباً وايابا.. لمَ لا تمضين بضعة أسابيع في المدينة؟

- لا أستطيع ترك أبي.

- وتفضلين تركي؟

- بالطبع لا!

- إذن تدبري الأمر. من المهم أن تبقي حيث أكون حبيبتي. أنت مخطوبة لي، أتذكرين؟

فابتسمت:

- لا أستطيع التصديق!

- ستصدقين حالما أضع الخاتم في اصبعك، وتُنشر صورك في الصحف.

فحبست أنفاسها:

- ألا يمكن إبقاء الأمر سراً؟

- ولماذا؟ سرعان ما ستعتادين على الدعاية.. وقد يطلب منك الكتابة عن حياتك مع طوني بروكلي الشهير!

- لن أقبل بهذا اطلاقاً. أفضّل أن تبقى حياتنا الشخصية خاصة بنا.

- من ضرائب الشهرة أن لا يكون لمن وضع نفسه تحت الأضواء حياة خاصة.

- لكن يمكن أن يكون لنا حياة خاصة.

- لا تخدعي نفسك.. لن أراك قبل المساء، فسيحضر صاحب شركة مابسون ريكوروز من نيويورك، وسنتناول الغداء معه أنا وريتشارد.

- لكن...

- لا أستطيع التحكم بالأمر حبيبتي، فقد فوجئت بالخبر يوم أمس.. لكن سأهاتفك فور انتهائي.

فردت بسرعة وهي تفتح الباب:

- لا تفعل.. فسأسافر الى القرية لأبلغ ابي.. لا أحب أن يتسرب الخبر الى الصحف قبل أن يسمعه مني.

- معك حق، وفي تلك الفترة، رتبي امورك للعودة التي أريدك معي.

على اطراف اصابعها، تسللت جوانا الى غرفة نومها في منزل عمتها.. ومن مكان ليس ببعيد، دقت ساعة كنيسة السادسة، فخلعت حذاءها وانتصبت قرب السرير، لم ترَ في النوم فائدة.

بحركة بطيئة خلعت ثوب السهرة وارتدت الروب، وجلست في السرير تفكر بالمستقبل: مستقبل مع رجل كتب عليها ان تتقاسمه مع ملايين الناس. كان محقاً عندما قال: ليس للمشاهير حياة خاصة! صحيح أن الأمر يبدو رهيباً، لكن المستقبل من دونه سيكون أكثر رهبة.

كما توقعت، كان والدها يعمل في الحديقة ساعة وصلت. ولما رآها سأل مستغرباً:

- يا الهي... هل تشاجرت مع المغني؟

- بل على العكس تماماً... لقد طلب مني الزواج ووافقت.

- أنت... لكنك بالكاد تعرفينه!

- يكفي بأنني أعرف كم أحبه.

ـ هراء! لقد أحببت فيه مركزه وشهرته.

ـ لا يمكنني سوى الإحساس بالغرور امام شهرته، لكن لا علاقة لهذا بحبي له. في الواقع، كدت أمتنع عنه بادىء الامر بسبب شهرته.

ـ لا أندهش للأمر، فأنت لست طائشة وتعرفين جيداً نمط حياته، ما عليه سوى الإشارة و...

ـ كان هذا في الماضي أبي.. ولا يهمني الآن سوى مستقبله.

ـ لا يمكن للمرء تغيير طبعه.

ـ عندما يكون الطبع تمثيلاً فمن السهل تغييره.

ـ أتظنين طوني هكذا؟ فأنا لم ألاحظ ندمه على أي شيء قام به.

ـ هو غير نادم فعلاً، لأن أغلب ما فعله كان بهدف الدعاية، ولا يجب عليك تصديق كل ما تكتبه الصحف.

ـ أنا لا أصدق.. فلست ساذجاً.. ولكن لا يمكنني التغاضي عن كل الأشياء.

رمى مقص الزهور من يده ووضع ذراعه على كتفها:

ـ أريد لك الأفضل حبيبتي.. وإن كنت ترين سعادتكِ مع طوني بروكلي.. فليكن... لكن لا تسرعي في الزواج. اعط نفسك فرصة أكبر للتعرف عليه. بإمكانك الذهاب الى المدينة والسكن مع عمتك ان شئتِ.

ـ هذا ما اقترحه علي طوني.

ـ على الاقل أظهر بعض التعقل.

استغرقت جوانا بضع ساعات في ترتيب شؤون المنزل بشكل مرضي.. وارتاحت بعد ذلك قرب الهاتف بانتظار مخابرة طوني وعندما اصبحت الساعة الثامنة يئست من اتصاله وقررت أن تجري الاتصال بنفسها فطلبت الرقم الخاص بجناحه، لكن الجرس استمر

يرن ويرن دون رد. وكانت على وشك وضع السماعة مكانها عندما سمعت صوته:

ـ المغني مشغول، اتصلي ثانية.

ـ طوني.. هذا أنا جوانا!

وساد الصمت، فقالت:

ـ طوني؟ ألا زلت معي؟

ـ طبعاً.. كنت...

وصمت، ثم سمعت أصواتاً غير واضحة وكأنه وضع يده على السماعة:

ـ طوني.. إن لم يكن الوقت مناسباً سأتصل بك في وقت آخر.

ـ لا.. لا.. اخبريني ما تريدين.

ـ أردت أن أعلمك بعودتي إلى أوتاوا! اما زلت تريدني معك؟

ـ طبعاً.. هل ستأتين غداً؟

ـ لا.. ليس قبل يوم الاربعاء. سأستقل قطار بعد الظهر وأتجه رأساً الى بيت عمتي.

ـ سألقاك في المحطة إذاً.

ـ لا حاجة لذلك!

ـ سخيفة! بل هناك كل الحاجة.

وسمعت ضحكاً عميقاً، فسألته:

ـ هل معك أحد؟

ـ ريتشارد فقط. سأراك في المحطة، فتشي عن النظارات السوداء!

وأقفل الخط، فغاب معه جزء من سعادتها. فهي متأكدة أن الضحكة التي سمعتها هي لامرأة. لكنه قال إن ريتشارد معه.. الأمر مضحك، إنها لا تعرف شيئاً عن حياة ريتشارد وهل هو متزوج أم لا.

وفي طوني بوعده، فبعد ظهر الاربعاء كان في المحطة لاستقبالها وما إن التقته حتى قالت له همساً:

ـ أشعر وكأن اجيالاً مرت منذ ودعتك آخر مرة. كما لا أصدق انني سأمضي معك الاسابيع المقبلة.

ـ ستصدقين لدى مشاهدتك استعراضي لعشر مرات!

فضحكا وركضا الى السيارة تجنباً لمجموعة من المراهقين كانوا قد انتبهوا فجأة لوجود طوني، وسرعان ما أدخل طوني سيارته وسط زحام السيارات.. وسألها:

ـ هل نتجه الى الفندق مباشرة؟

ـ أفضل اولاً وضع حقيبتي عند عمتي، فهي تنتظر وصولي.

وعلى الفور وجّه سيارته نحو الطريق المؤدية الى منزل العمة دولوريس فألقت رأسها على كتفه قائلة:

ـ أود أن تقابلها. لقد أعلمتها بأننا مخطوبان.

ـ وكيف كان وقع الخبر على والدك؟ أراهن أنه لم يكن مسروراً.

ـ لقد ذهل، وقال إننا لا نعرف بعضنا كفاية.

ـ أرجو أن تكوني قد طمأنته؟

ـ حاولت ذلك.

فضغط بيده على ركبتها:

ـ هذه هي فتاتي.. كم هو جميل أن أراك مجدداً جو.. لقد افتقدتك. هل يمكنك وضع حقيبتك والخروج معي على الفور؟

ـ سيكون تصرفاً غير لائق مني.

ـ الحقي بي إذن عندما تستعدين.

أخرج طوني محفظته من جيبه ومدّ يده داخلها فبدت ورقة العشرين دولاراً.

ـ خذي هذه لاستئجار تاكسي حبيبتي.

فجفلت متراجعة وكأنها تلقت منه صفعة قوية:

ـ أستطيع دفع أجرة التاكسي بنفسي.

نظر اليها بذهول:

ـ أنت أول فتاة أعرفها ترفض المال.

ـ إذن، أنت لا تعرف حتى الآن كيف تميز الفتاة الطيبة!

ونزلت من السيارة متجهة نحو الباب وللحظات وقف طوني يراقبها ثم انطلق، والدهشة لا تزال تعتريه.

فتحت العمة دولوريس الباب بعد أن قرعت جوانا الجرس وتهلّل وجهها بالابتسام:

ـ تهنئتي القلبية حبيبتي. كانت أخبارك مفاجأة كبيرة لي.. هل جاء طوني معك؟

ـ لا. كان مستعجلاً لإجراء مقابلة صحفية.

كيف سهل صدور هذه الكذبة منها! لكنها صممت أن لا تعيد الكرة.

كانت الساعة السادسة عندما وصلت الفندق، وفي قاعة الاستقبال اعطت اسمها لأحد الموظفين في القسم ليسمح لها بالدخول الى جناح طوني، وفي غرفة الجلوس لم تجد إلا ريتشارد بون الذي وقف لإلقاء التحية:

ـ تسعدني رؤيتك جوانا... أقدم لكما تهانيّ. كم سرّني الخبر. تعالى واستريحي فقد اصبحت من العائلة.

ـ لكن للعائلات بيوت.

ـ هذا هو بيت طوني، وستعتادين عليه.

قدم لها كوباً من عصير البرتقال.. ثم ساد الصمت بينهما، شعرت معه بالقلق فحاولت خرقه:

ـ يسعدني سرورك بخطبتنا.

- ولمَ لا أسرُّ بها؟

- لأنني.. حسناً، لأنني لست متألقة مثل الفتيات اللواتي اعتاد طوني عليهن.

- لدى طوني ما يكفيه من التألق الأمر الذي لا يحتاج معه للزواج من فتاة متألقة.. ولقد حان الوقت لـ... آوه ما هذا الهراء الذي نتحدث فيه.. قد يقدم طوني أشياءاً مادية أكثر من الرجال الآخرين لكنك من النوع الاكثر أهمية. أنت أصيلة، صادقة وسيدة بكل معنى الكلمة.

في نفس الوقت الذي شعرت فيه بدفء إطرائه احست بوجود شيء غريب في كلامه.. كيف يمكنه التأكيد بأنها الفتاة المناسبة لطوني؟

وفجأة دخل طوني.. ولم تخف أناقته الزائدة خطوط التوتر الواضحة على طرفي فمه.. وركضت إليه نامية خجلها، وأحست بعد ان ضمها اليه بتوتر جسده، فتمتمت:

- اوه طوني، سأحاول جهدي أن أسعدك.

وفيما هي ذائبة بين ذراعيه.. سمعت صوتاً خلفها يقول:

- عظيم جداً.. لا بد أنك تتمرن على دورك في الفيلم الجديد حبيبي!

وبذهول.. ابتعد طوني عن جوانا فوجدت نفسها وجهاً لوجه مع أجمل فتاة رأتها في حياتها. طويلة، نحيلة القوام، ذات شعر طويل أسود، وبشرة بيضاء بلون الكريم... وبالرغم من كثرة المساحيق التي كانت تطلي بها عينيها، إلا أن فمها لم يكن يدين بلونه القرمزي الى اي لون اصطناعي، ولا صدرها العارم المندفع الى الامام والبارز من تحت قماش فستان في منتهى الاناقة لدرجة أن جوانا الجاهلة بالموضة عرفت، انه صناعة فرنسية.

وصرخ طوني:

- رونا... ! كيف وصلت الى هنا؟

- ارتديت «طاقية الاخفاء» وركبت بساطي السحري فطار بي الى هنا.. لو علمت أن معك رفيقة منشغل بها لكلفت نفسي عناء طرق الباب.

تقدم ريتشارد نحوها:

- جوانا ليست مجرد رفيقة، انها خطيبته.

نظرت رونا الى ريتشارد وكأنه حشرة تود سحقها:

- هي.. من؟ إن كنت تحاول المزاح.. إذن..

فقاطعها طوني:

- دعني أكلمها ريتشارد. لقد حاولت الاتصال بكِ يوم الأحد.. وقيل لي إنك خارج المدينة.

- لن يختلف الوضع فيما لو عرفت بذلك يوم الاحد او هذا اليوم، أو حتى في أي وقت فلا تظنني غبية إلى هذا الحد كي أصدقك.

تخطت المرأة طوني وأشبعت عيناها الزرقاوان تحديقاً بجوانا:

- أتتوقع أن أتقبل واقع كونها حبيبتك..؟

- إنها خطيبتي!

- وأنا من...؟ عمتك العانس العجوز؟

فتدخل ريتشارد، يحاول إظهار سيطرته على الموقف بثبات لهجته وحزمها:

- انت بالنسبة إليه واحدة من عشرات الفتيات اللواتي كن يحمُن حوله خلال الأشهر الماضية. كان طوني مضطر لإخفاء امره مع جوانا حيث نصحها والدها بالتفكير ملياً بالأمر لتعمق الثقة بما ستقدم عليه، ولأن كليهما لم يرغب في تسرب الخبر، فطوني مضطرٌ للاستمرار في

حياته القديمة.

- أنتما مسكينان... طوني وريتشارد! إن ظننتما بأني اصدق هذه القصة؟

- إنها الحقيقة، ولا يمكنك تغييرها.. هيا جوانا، اخبريها بنفسك.

أحست جوانا بدوي زحمة اصوات في اذنيها.. أرادت أن تصرخ أن الامر كله كذب، ولا تريد المشاركة فيه. لولا نظرات طوني الرزينة اليها، وعيناه اللتان تعبران عمّا لا يستطيع البوح به بلسانه.. فإما أن تثق به وتؤكد ما قالاه هو وريتشارد، أو تستدير وتخرج من حياته على الفور، وتقدمت خطوة الى الأمام توقفت بعدها لتقول بصوت أحست أنه غريب عنها:

- هذا صحيح! أنا وطوني مخطوبان سراً منذ أكثر من شهرين!

كانت رغبة جوانا الوحيدة أن تعرف السبب في هذا التصرف الذي بدر من طوني أما رونا فقد كانت تحدق به بغضب ويأس، وليتهرب من ذلك الموقف نظر الى ساعة يده وتمتم:

- أوه... الحفلة!

وبسرعة خاطفة أصبح في الممر الخارجي يطلب المصعد.

بعد خروجه تولى ريتشارد زمام الامور، فدفع جوانا الى غرفة النوم طالباً منها ترتيب نفسها قبل مرافقته. لكنها أدركت أنه يتعمد ابعادها عن ذلك الجو، فراحت تتأمل نفسها في المرآة فوق طاولة الزينة دون أن ترى سوى العينان الزرقاوان ترمقانها بنظرات الحقد.

وبعد دقائق.. دخل ريتشارد يناديها ليترافقا الى حيث يقام الحفل الخيري. لم تستفق من تلك الصدمة إلا بعد جلوسها في مقصورة وسماعها صوت طوني.. لكن رافقه إحساس بالخوف انتابها للحظات. وعلى الفور أوقفت أفكارها.. ولم تعِ شيئاً من الحفلة

واستعادت رشدها لتجد نفسها في الفندق وفي غرفة الاستقبال مجدداً وسط جمع من الناس قدمت إليهم بصفة خطيبة لطوني بروكلي.

وبعد لحظات من الصمت المذهل، أمطرا بوابل من التهاني، لكن سرعان ما توجه الاهتمام إلى طوني، وتجاهل الجميع وجودها.

عند ذلك اعادت النظر في الموقف الذي حصل مع رونا، ولم تستطع تمالك دموعها التي بللت عينيها. ودون أن تأبه لرؤية احد لها اخذت منديلاً وجففت عينيها فلو وقفت على رأسها وصرخت بملء صوتها لن يراها او يسمعها أحد مع انها اصبحت الآن امام الجميع خطيبة طوني، فقد ذكرتها هذه المعاملة التي تتلقاها باول ليلة عرفته فيها.

وببطء تحول الكرب الى غضب. فوقفت، وبصعوبة وصلت الى حيث كان يجلس طوني.

- اود التحدث اليك.

- اوه.. هذا انت حبيبتي، كنت ابحث عنك.

- بعينين مغمضتين؟

مد يده يجذبها نحوه:

- عذراً يا سادة، فإن سيدتي بحاجة لقليل من الاهتمام.

تناهى الى سمعهما بضعة تعليقات لاذعة أدّت الى احمرار وجه جوانا خجلاً بينما تظاهر طوني بعدم السماع ثم جرّها الى غرفة النوم، وبمجرد دخولهما الغرفة غابت الابتسامة عن وجهه، وصاح:

- لا تكلميني هكذا ثانية امام اصدقائي!

- وكيف أكلمك؟

- أتحسبين أن بإمكانك أمري بما سأفعل، ما من احد يستطيع ذلك. أفهمت؟ لا أحد!

أحست أن لغضبه الزائد سبباً غير الذي احتج به، وقد تعود

جذوره الى موقف محرج مشابه حصل معه في الماضي.. ليتها تطلع على ذلك الماضي لتستوضح حالته الآن. وليس فقط عن ظاهره، بل عن شخصه الداخلي الذي يحظى بكل ما يحتاجه من حب إلا لجمهوره الكبير، فقالت له:

- أظن أن.. خطبتنا كانت غلطة.. فأنا لست فتاة من طرازك، ولن استطيع أن أكون كذلك.

على الفور مد ذراعيه ليلفهما حول عنقها ويشدها الى صدره، وقال:

- لا تقولي هذا، انت غاضبة ولا تعنين ما تقولين. السبب هي رونا.. أليس كذلك؟

رونا! بل هناك أسباب أخرى تغضبها. لكن تلك المرأة أهم هذه الاسباب.. ونزعت جسدها من بين يديه:

- لمَ حاولت إيهامها بأننا كنا مخطوبين سراً منذ الشهر؟ لمَ كذّبت عليها؟!

- يعتقد ريتشارد أننا سنكسب دعاية أكبر، لو أوهمنا الجمهور بأنني عانيت الأمرّين لأقنعكِ بالزواج.

- ولماذا؟

- لأن تسعة وتسعين من اصل مائة فتاة يمكن ان تسعى لتتمسك بهكذا فرصة. وترددك أنت يجعل القصة أكثر جمالاً وتشويقاً.

فخفّ قلق جوانا:

- وهل هو السبب الوحيد؟

- وأي سبب آخر يمكن وجوده... هل تغارين منها؟ لقد قلت مرة إن الماضي لن يهمك.

- أهي من الماضي؟

- أهي... اوه جو! أنت الآن الفتاة الوحيدة في حياتي. لن

أدعي أنه لم يكن بيننا علاقة لكن بقيت لفترة قصيرة وانتهت منذ مدة.

دفنت جوانا وجهها في صدره.. مؤكدة تصديقه وإن لم تستطع فلن يكون هناك مستقبل بينهما.. مع ذلك.. وسمعته يقول:

- هاي.. أنت! ليس عليك أن تغضبي بسبب فتاة كرونا. ألم يمكنك معرفة نوعيتها؟

- وأنت؟

فوجيء لسؤالها.. وأثناء صمته راحت تكرره بإلحاح شديد. فأجاب:

- بالتأكيد عرفت نوعيتها.. فهي لا تختلف عن بقية الفتيات اللواتي يلاحقنني. ولذا أحبك أنت.. ألم تفهمي ذلك؟

هذا هو الرد الذي تود سماعه وسرعان ما اختفى الالم والشك اللذان تملكاها طوال الأمسية.

- أود تصديقك طوني، لكن لدي إحساس بعدم الثقة بك... وعدم الثقة ايضاً في قدرتي على الانسجام مع أصدقائك.

- فليذهبوا الى الجحيم! هم الذين عليهم التلاؤم معك فانت الآن اهم شخص في حياتي وإن لم تكوني بعد اكيدة من هذا فستعرفينه قريباً.

حاول تقبيلها لكنها صدته، فهي متكدرة عاطفياً وغير قادرة على الاستجابة:

- أرجوك طوني أود العودة الى المنزل.. لم أعتد السهر طويلاً وأحس بصداع.

فبدا عليه التردد، وعلمت أنه يكره ترك اصدقائه. فقالت:

- لا تزعج نفسك بإيصالي.. سأستقل التاكسي.

- أواثقة أنك لن تتضايقي من هذا؟

- طبعاً.. لكن إلى متى ستستمر هذه الحفلة؟ لقد مرت عليك

أمسية مليئة بالتوتر و...

- لا تبدأي بإعطاء الأوامر لي يا ملاكي، لا تنسي أنك ما زلت خطيبتي ولم تصبحي زوجتي بعد.

من حديثه تأكدت أن طوني معتاد على تلبية كل رغباته، وعليها أن لا تشعره بأنها تعطي الأوامر له. وفي الوقت ذاته عليه أن لا يطلق العنان لنفسه بالسيطرة عليها.

ازدادت دهشتها لاتصال طوني بها قبل العاشرة من صباح اليوم التالي، وقد بدت ظاهرة علامات السعادة من خلال حديثه وكأن الهموم لم تعرف طريقاً اليه حيث لم يأتِ على ذكر ما حدث الليلة السابقة.

قال عفوياً:

- إنه يوم جميل.. لقد أخّرت كل تسجيلاتي، فما رأيك لو تبدلي ثيابك لأمر لاصطحابك بعد ساعة؟

فوافقت بسعادة واسرعت الى غرفتها لترتدي شيئاً مناسباً... ما إن انتهت حتى سمعت صوت زمور في الخارج، نزلت من غرفتها فأوقفتها عمتها وهي خارجة من المطبخ لتسألها:

- ألم تتناولي إفطارك جوانا؟

- ليس لدي وقت. سأقضي اليوم في الخارج.. طوني بانتظاري.

- دعيه يدخل حبيبتي... وتناولا فنجان...

وفي تلك الاثناء كانت جوانا قد أصبحت خارج المنزل.. فصمتت العمة وسرعان ما جلست بجانبه فبادر بالقول:

- أنت دائماً دقيقة المواعيد.. وهذا ما أحبه في الفتاة... يتأخر معظمهن ساعات في اختيار الملابس.

فضحكت:

- لا أملك فساتيناً كثيرة تصعّب عليّ الاختيار.

فنظر إليها بسرعة:

- احصلي إذن على كمية أكبر. فإن الثياب الفضفاضة تظهرك رائعة جو.. اشتري من محلات «جولي دام» فهم يصنعون ملابس جميلة. انتقي ملابسي من هناك في بعض الأحيان.

- لكنهم يصممون ملابساً نسائية فقط.

- يصنعون قمصاني نزولاً عند طلبي.

- سأعمل بنصيحتك.. أين سنذهب؟

- انتظري لتري.

سرعان ما تجاوزا المطار.. وتابعا سيرهما غرباً، ثم تحوّلا عن الطريق الرئيسية واتجها في طريق ضيق أوصلهما الى النهر.. وقد بُني على حافته العديد من المنازل المنمَّقة ذات الحدائق الرائعة الممتدة حتى النهر، حيث رست بعض المراكب الصغيرة. وظنت جوانا أنهما سيزوران اصدقاء له.. وكم سيشعر طوني بالراحة للاسترخاء في احدى هذه الحدائق، او حتى السباحة في مياه النهر، مع أنها تفضل لو يقضيان النهار لوحدهما.

وسمعته يقول:

- ها قد وصلنا.

وأوقف السيارة في طريق ضيقة توصل إلى مرسى صغير أوقف بقربه مركب ذو مقصورة بيضاء.

- أيعجبك.. إنه لي!

- لك! أوه طوني!

وبسرعة ترجلت من السيارة وركضت بين الأشجار ولم يتمكن من إيقافها إلا بعد أن صرخ بها:

- هيه... انتظريني.. عليَّ أن أحمل هذه السلة اللعينة!

استدارت فإذا به يبذل جهداً لحمل سلة ضخمة، فعادت مسرعة

إليه.

- لا تقل لي إنك جلبت معك طعاماً للنزهة؟

- لا يمكنني غير ذلك، يبدو أنك تجدين متعة في الطعام أكبر من متعة قبلاتي!

ابتسم لها بخبث وأكمل:

- مع أنني آمل أن تبرهني اليوم أنني مخطىء.

انفجرت ضاحكة بسعادة، وأمسكت طرف السلة، لكنه ابعد يدها وحملها وحده. ودخلا المركب لتفاجأ بغرفة جلوس جميلة الأثاث، ومطبخ صغير كامل التجهيزات.. فقال آمراً:

- هيا إلى العمل يا امرأة! اكاد أموت جوعاً.

فتمتمت:

- المكان خيالي.. لم أكن أعلم أنك تملك هكذا مركب؟

- إنه مكان سري.. أنت وريتشارد الوحيدان اللذان يعرفان بأمره.

- ولماذا لا تأتي الى هنا دائماً؟

- ربما لو فعلت ذلك لا يبقى سرياً. وما إن يكتشفه الناس حتى يقتحمونه.. أحبك بالوجه المحمَّر.. أنت مختلفة عن كل الفتيات اللواتي عرفتهن. لا أستطيع التصديق أنك تعيشين في نفس البلد الذي أعيش فيه.

- إنه نفس البلد، لكننا نعيش في أماكن مختلفة، وعالم الفن والاستعراضات ليس العالم الوحيد.

- اعرف ذلك، فأنا أتعلم منك الكثير جو. ولم أعتقد انني سأصل لهذا.. هيا بنا نخرج الى السطح.

لحقت به، ووقفا عند السياج ونظرا الى الشجيرات التي تمتد جذورها في النهر من ضفتيه، فتمتمت:

- المكان هادىء. هذا هو نوع الحياة الذي أحبه.

- إنه نوع الحياة الذي يجب أن تحصلي عليه.. ولا أستطيع..

وصمت، فنظرت اليه تسأله:

- ماذا تحاول أن تقول طوني؟ هل أنك آسف لطلبك الزواج مني؟

- بالطبع لا. ما هذا الجنون؟

- إذن توقف عن القلق حول عدم تأقلمي في عالمك.. قد يكون الأمر صعباً عليّ، لكن العيش بدونك سيكون اصعب.

فتمتم:

- أتمنى أن لا تحبيني كثيراً.

- ما هذا القول؟

- آسف يا جو.. لكن ما أعنيه أنني لا أحب أن أكون ملكاً لأحد.

- الامتلاك تعبير خاطىء بل ما تعنيه انك تريد حبي وفي نفس الوقت الاستمرار في حياتك المعتادة.

- أنت أذكى من أن تكوني فتاة بريئة.. ما من فائدة من الادعاء أنني رجل عادي. أنا نجم، والنجوم هم جنس مختلف عن الناس. وطالما نحن في القمة سنبقى محاطين بالجميع، وما إن نبدأ بالتراجع حتى يمرّغ الجمهور وجهنا بالتراب.

- لا تقل هذه الأشياء!

- إنها الحقيقة!

وضمها بين ذراعيه:

- أحقاً تؤمنين بي؟ لقد رسمت لي صورة معينة وترفضين رؤيتها بشكل آخر.

- أنا أراك كما أنت.. كما يمكن ان تكون.

ـ لا تفكري بما سأكون.. اقبليني كما أنا جو.

كان الرد منها لف ذراعيها حول كتفيه.. وشعورها بشيء ما وراء مداعباته: حنان لم تشعر به من قبل فيه حاجة واشتياق وخوف.

استراحا في كابينة الجلوس، وراح يخبرها الكثير عن ماضيه.. مات والداه وهو في السادسة من عمره، كفله عمته وزوجها. وتابع قائلاً: ليس بدافع الحب، بل تلبية منهما للواجب الديني. كانا دائماً يرددان القول: لحسن حظك إننا لم نرسلك الى ميتم. وكنت أفضل لو أنهما أدخلاني فعلاً اليه.

وضحك بمرارة.

ـ أكنت تعيساً الى هذا الحد؟

ـ تعيس؟ أظن هذا! مع أن الاطفال لا يدركون معنى هذه الكلمة. لقد توفر لي الكثير من الأكل والملابس لكنني كنت افتقر الى ما يحتاجه الطفل.. مثل الضحك، العاطفة، وأن يشعر بأنه محبوب.

ـ على الأقل عرفت ما يجب ان تعطي أولادك.

ـ أولادي؟ لم أفكر مطلقاً بانجاب أولاد، فلست واثقاً من رغبتي بهم.

أحست بأنها تود معرفة المزيد عن احلامه، آماله، أحزانه ومخاوفه، فسألته:

ـ ماذا حدث بعد أن تركت المدرسة؟

ـ هربت وحصلت على وظيفة مع فرقة موسيقية متجولة، الأمر الذي دفع عمتي وزوجها إلى طردي من منزلهما.. و... لم اعد أراهما.. يا الهي.. عندما افكر بسنوات العذاب قبل وصولي القمة! بعد ذلك رحت أتجول كل ليلة في قرى الريف ثم تنقلت في كندا كلها فتجولت من ملهى رديء الى آخر. وكنت على وشك التخلي عن كل شيء عندما قابلت ريتشارد.. ومنذ ذلك الوقت لم أنظر ابداً

إلى الوراء.

ـ أنت مدين له بالكثير.. أليس كذلك؟

ـ ليس لأحدنا دين على الآخر.. فعندما التقينا كنت مغني مبتدىء وكان هو متعهد حفلات صغير، وكلانا صنع الآخر.. يرى فيَّ ريتشارد وسيلة عيش.. ليس اكثر من هذا. وأفضّل أن يبقى هكذا.

لم تضف جوانا شيئاً، فقد تأثرت بما رواه لها ورأت وراء كلماته شجاعة الولد الصغير البائس الوحيد.. لكنها لم تجرؤ على البوح بأفكارها.. ربما يحصل ذلك عندما يتقبل حبها ويكون قد سالم نفسه، عند ذلك ستبوح له بما تفكر.

أمسكت بيده، وأخذت تمررها على شفتيها.

ـ أنا سعيدة طوني بما رويت لي عن حياتك وستعرف يوماً ما أن ليس كل العائلات متشابهة.

ـ لا أنوي اكتشاف شيء.. فلست رجلاً لعائلة.

ـ عندما تتزوج سأكون أنا عائلتك.

ـ طالما أنا ناجح.

فردت بكآبة:

ـ طبعاً.. سأبذّر كل اموالك وعندما تصبح زوجاً عجوزاً سأتخلى عنك!

وبتنهدٍ عميق، دفن وجهه في شعرها، وشد بيده عليه.

ـ انت صادقة، شفافة وناعمة.

ـ طوني... حبيبي!

بعد قليل ابتعد عنها، فسألته بلهفة:

ـ طوني.. أهناك خطأ ما؟ هل فعلت شيئاً...

فلف يديه حول خصرها:

- لم تفعلي شيئاً يا حلوتي.. وهذا أروع ما فيك، أنت جميلة وبريئة، ولا تعلمين مدى تأثيرك عليَّ.. لم أشعر بمثل هذا تجاه أية فتاة.. ولا استطيع مقاومتك.

- إنه الحب.. هو إحساس جديد عليك، ولم تتعرف اليه بعد.

- الحب... غريب! انا لم اشعر...

صمت قليلاً ثم قال بخشونة:

- تعالي حان وقت عودتنا.

كان الظلام قد خيَّم عندما أوصلها الى بيت عمتها، واقترح ان لا تحضر حفلته لهذه الليلة، بل أن تقابله فيما بعد.. نزلت من السيارة وأقفلت الباب وراءها وركضت في الممر، ما أن وضعت المفتاح بالقفل حتى احست بيديه تحيطان خصرها:

- لا تغضبي مني جو، لن أستطيع تقديم حفلة ناجحة وأنت غاضبة؟

- اوه.. طوني! كم أنا متوحشة وانانية! أنا آسفة!

فقبلها بلطف في جبهتها، ثم انتظر الى أن فتحت الباب، وتوجه الى سيارته، ثم ناداها:

- أراكِ في المسرح.

فاستدارت تراقب رحيله.

في المسرح جلست تلك الليلة في مقصورة خاصة تستمع صاغية الى غنائه وسط عاصفة من الهتاف والتصفيق.. فارتجفت وتمنت وجود شخص من محيطها الخاص... والدها، عمتها أو بول... ليشاركها في تلك السعادة.

وبعد الحفلة، ذهبت الى غرفة الملابس تأمل دعوة طوني لتناول العشاء بمفردهما... الا أن معنوياته المرتفعة كانت تدل على رغبته بالاختلاط ولكي لا تفتعل خصاماً آخر معه، رافقته مع مجموعة من

الاشخاص الى الفندق.

كانت أخبار خطبتهما لا تزال جديدة.. والجناح يعجُّ بالصحافيين والمصورين.. واضطرت جوانا للوقوف امام العدسات وقتاً طويلاً خالته لن ينتهي حتى بعد اختفاء الأضواء، بعد ذلك واجهت سيلاً من الاسئلة التي تولى طوني وريتشارد الإجابة عن معظمها ليوفرا عليها مشكلة اختلاق الردود.. أما هي فلم تستسغ ذلك الضغط ولم تشعر بالارتياح إلا عندما أبعد ريتشارد الجميع بقوله إن طوني سيقابلهم بعد ساعة في «النغم الازرق» آخر صيحة في عالم الديسكوتيك في المدينة.

تمتمت جوانا وهي تتهاوى الى الاريكة:

- حمدا لله أنهم ذهبوا.

فرد ريتشارد:

- هذا مبدئياً.. إنما ستواجهين مقابلات أخرى، مع المجلات الأسبوعية والشهرية والمجلات النسائية، الصحف الموسيقية.. أنت الآن من أهم الاخبار جوانا.

- إنها اخبار طوني، وليست أخباري.

- بل تعنيك ايضاً. إنك الفتاة التي اختارها كزوجة، ويتطفل معجبوه لمعرفة السبب.

وهي ايضاً ودَّت لو تعرف السبب، بعد أن شاهدت صورتها معه صباح اليوم التالي في الصفحة الأولى من الصحف اليومية، وبمحاذاتها صورة اخرى لخطوبة بطل سباق سيارات مع عارضة ازياء، وعندما قارنت جوانا نفسها بتلك بدت تقليدية المظهر، غير عصرية، والأسوأ من ذلك، سؤال يراودها: كيف يمكن لطوني أن يقع في حبها؟ وكيف يمكن أن ترضى بهذا المظهر؟ رغم تمتعها بقسمات وجه جميل، وجسد رائع، لم تعد مقتنعة بأنه يكفي.. بل

تأكد لها خطأ نظرتها.

كانت شابة مرهقة مفلسة عندما عادت في الساعة السادسة من مساء اليوم التالي الى منزل العمة دولوريس. لكن نظرة الانبهار في عيني العمة العجوز أثبتت لجوانا نجاح تسريحة شعرها الجديدة، وأكدت لها المرآة فيما بعد جمال أول فستان ارتدته من المجموعة الجديدة.

تهادت في الحذاء العالي الكعبين أمام عمتها:

- أتظنين أنني سأعجب طوني هكذا؟

- لن يعرفك... تبدين كملكة جمال العالم. بل أفضل منها!

حدقت جوانا بنفسها مرة أخرى في المرآة لتلاحظ التشابه:

- أفضل من ملكة جمال العالم؟

- تتمتعين بشخصية أقوى يا عزيزتي.. فالجمال وحده يضجر أحياناً.

لمست جوانا شعرها، لقد قصته قليلاً، وأعادت تصفيفه بشكل مختلف تماماً، حتى أنه تدلى حول وجهها وكأنه الحرير اللماع ذو اللون البني المحمرّ. فالنصيحة التي اسدتها إليها خبيرة التجميل علمتها الاستفادة بشكل أفضل من قسمات وجهها الجميلة، وهي عدم المبالغة بوضع مساحيق التجميل، مع أنها موضة تلك الايام، وعدم ابراز كل شيء في الوجه باستثناء الفم والعينين.

أما صاحبة محلات «جولي دام» فقد نصحت جوانا وكخبيرة تجميل عدم التماشي مع الموضة الرائجة. فبعد أن عرفت أنها خطيبة طوني بروكلي، تولت صاحبة المحلات بمساعدة المصممة في المشغل الإشراف شخصياً على انتقاء ملابس ملائمة لجوانا.

لكن جوانا قالت محتجة:

- أملك كمية محدودة من المال.. لذا لن أتمكن من شراء أكثر

من فستان واحد.

- لا يمكنك إلا شراء الكثير، فأنا ألبس كل النجوم هنا.. وعليك منافستهن. طوني ولد حبيب الى قلبي، وأريده أن يفخر بك... سأفتح لك حساباً وتدفعين فيما بعد.

وهكذا أمضت بقية اليوم تجرّب كل فستان أروع من الآخر، ولحسن حظها أنها معتدلة المقاس... والتعديلات الضرورية كانت في تضييق الخصر، او توسيع الأوراك.. وكلها سهلة.

رجعت الى الساعة الحاضرة مع قول عمتها:

- لم أشاهدك سابقاً في ثوب أحمر. انه رائع عليك.

لاحقت جوانا نظرات الاعجاب أثناء تقدمها خلف المسرح بعد انتهاء الحفلة تلك الليلة، مؤكدة لها مدى صحة إطراء عمتها، ممّا زاد من خفة مشيتها. وتمايل خصرها باغراء مع ظهور ساقيها الجميلين من خلال تنورة الفستان الحريري الملتفة حولهما والتصاق الكشاكش الناعمة على صدرها، وأظهرت عيون الرجال كم كانت مغرية.

حين وصلت غرفة طوني سمعت شجاراً تشارك فيه امرأة.. فترددت قليلاً ثم دفعت الباب ودخلت. إنها رونا اندروس تعطي ظهرها لجوانا وقد شدّت قبضتيها إلى جانبيها، وفي مواجهتها وقف طوني وعيناه تتطايران شرراً وهو يصرخ:

- أنا ارفض تماماً! اذهبي إلى الجحيم!

لاحظ دخول جوانا فنظر إليها صارخاً:

- كيف تجرؤين على الدخول هكذا دون...

ثم ابتلع ريقه وقال مستغرباً:

- جوانا! يا إلهي! لم أعرفك.

فاستدارت رونا تنظر إليها.. ثم زعقت غاضبة وخرجت. توجه طوني نحو طاولة الزينة وسكب لنفسه كوباً من العصير، شربه دفعة

واحدة لشدة جفاف حلقه. ثم نظر إلى جوانا:

ـ لا عجب أنني لم أعرفك، ماذا فعلت بنفسك؟

ـ دعك من هذا الآن. لماذا كنت تتشاجر مع رونا اندروس؟

ـ الأمر غير مهم!

ـ سمعتكما تصرخان وأنا في الخارج.

ـ لا شيء... مجرد تباين في الآراء.

ـ حول ماذا؟ طوني يجب أن أعرف. ماذا يوجد بينك وبين هذه المرأة؟

ـ لا شيء... انتهى أمرها منذ زمن بعيد.

حدقت به.. إنه يكذب... لكنها عرفت من قسمات وجهه الصارمة انه لا ينوي قول الحقيقة. فقالت:

ـ أنا عائدة الى منزل عمتي.. يبدو أن كلمة «لا شيء» هي المفضلة عندك الآن... وأنا كذلك بالنسبة لك.. لا شيء!

فتحت الباب بقوة، وأغلقته خلفها بعنف وركضت إلى خارج المسرح.

* * *

٥ ـ سيد نفسه

بالرغم من تعليقاتها لدى سماعها بما جرى لم تساعد العمة جوانا في التخفيف من بؤسها.

اتصلت به صباح اليوم التالي، مع انها لم تقم بترتيبات لذلك، وبينما كانت تنتظر رده أحست بالرجفة في يديها. فهل يا ترى سيكون غاضباً من تصرفها ليلة أمس؟ وهل سيذكر رونا؟ وجاءها صوته وقد بدا النعاس واضحاً فيه وسألها:

ـ هاي... لمَ ايقظتني في مثل هذه الساعة؟

ـ إنها العاشرة.. واردت أن أتصل بك قبل خروجك.

ـ لست أنوي الخروج... لكن ماذا دهاك ليلة أمس؟

ـ وهل يجب أن أكرر لك؟

ـ إذا غضبت بسبب رونا، فانسي الأمر. انها لا تعني لي شيئاً.

ـ إذن لماذا كنتما... حسناً طوني.. فلننسى الأمر.

ـ هكذا أحبك يا فتاتي! ما رأيك بالغداء معاً.

ـ عظيم.. سنتناوله هنا.

ساد صمت ثقيل، ثم قال بصوت فاتر:

ـ عند عمتك؟

ـ اجل.

ـ آسف حبيبتي. ليس هناك مجال. ذكرت لك سابقاً أن الجو

العائلي يخنقني.

- أذكر ما قلته لي طوني.. لكنه ليس عذراً ملائماً.

فقال بصوت قاطع نهائي:

- إنه كاف بالنسبة لي، فكوني فتاة طيبة ولا تضغطي عليّ. أين سنذهب للغداء؟

- لا أدري... ولا أهتم.. فأنا سأتغدى هنا، ويمكنك أخذ رونا اندروس بدلاً عني.

أقفلت الخط، وحدقت بالهاتف بعينين مغرورقتين بالدموع.

بما أنها أبدت اهتماماً لمشاعره تجاه أقاربه، فمن الحماقة منه تطبيق مشاعره المزاجية على اقربائها، وهي تعلم تماماً لو أن الأمور كانت معاكسة لضحت برغباتها من أجل إرضائه، ولا يجب على طوني أن يتضايق من أي انسان، فمنذ ان بدأت شهرته والناس تتسابق لمرضاته... فلا عجب إذاً من صعوبة التغيير عليه!

لكن لا بد للزواج الناجح من ان يُبنى على أساس التبادل المتكافىء ومن المؤكد أن طوني سيبذل كل العطاء في أمور الحياة الزوجية إلاّ أنهما سيعطيان بشكل متساوي في الناحية العاطفية، وبالتأكيد هذا هو الاهم.

لتشغل نفسها عن التفكير، ولتملأ الفراغ، صنعت فطيرة باللحم للغداء. بينما صنعت عمتها فطيرة حلوى بالتوت والتفاح، كانت تبرع بصنعها.. صحيح أنهما ليستا من الطباخات المشهورات إلا أنها وجبة من أفضل الوجبات التي يمكن لطوني تناولها... اللعنة على الرجال! هل ستبقى طوال اليوم في المنزل منتظرة.. سوف تخرج للنزهة قبل الغداء. ارتدت معطفها، وفتحت الباب، لكن المفاجأة أذهلتها.. إنه الرجل النحيل، ذو الشعر الأسود، يقترب منها عبر الممر.

- طوني!

- لمَ انتِ مندهشة؟... ألستُ مدعواً للغداء؟!

وبنبرة سرور لفت ذراعيها حوله:

- أوه حبيبي... كم أنا سعيدة لقدومك!

دفعته إلى الداخل وعانقته من جديد، فقال:

- لم تتوقعي قدومي.. أليس كذلك؟

قالت كاذبة:

- طبعاً كنت أتوقع قدومك. أعرف أنك منطقي وذكي وتعرف أنني محقة!

فصفعها على مؤخرتها فصرخت، ممَّا دعا عمتها للركض من غرفة الطعام حيث كانت تحضر المائدة. ولدى رؤية الزائر.. ترددت، فلفت جوانا ذراعها حول وسطه ودفعته الى الأمام:

- هذا طوني.. لقد جاء للغداء.

- أرجو أن لا تمانع في تناول حواضر البيت معنا؟

- اللعنة على حواضر البيت، لقد صنعت لك عمتي دولوريس فطيرة حلوى خاصة بالتوت والتفاح.. مشهورة بها في كل الجوار.

فابتسم طوني للمرأة المسنة:

- أنا لا أستطيع مقاومة اغراء الحلوى.. مع أنني سأكون صادقاً لو قلت: أتيت لمقابلتك سيدتي.. لا من أجل الحلوى!

أظهرت العمة علمها بتردده السابق عن زيارتها وقالت:

- هذا لطف منك.

دعته الى غرفة الاستقبال لتناول الشراب.

لم يكن هناك أفضل من هذا الغداء فالطعام رائع، وطوني في أحسن حالات انسجامه، يضحك لنكات العمة، ويجيب بحذر على كل اسئلتها حول عمله وحياته الخاصة، وجعلها عدة مرات تفكر بذهولٍ لدى وصفه لجولاته السابقة في مطلع حياته.

وبانتهائه من تناول القهوة.. أزاح كرسيه إلى الوراء ووقف:

ـ أرجو المعذرة سيدتي، سأريك شيئاً.

خرج من المنزل الى سيارته، وعاد يحمل صندوقاً أخرج منه غيتاراً... ذا شكل قديم.. وبدا ثميناً كما خمنت جوانا.

فسألته العمة:

ـ لن تعزف به هنا.. أليس كذلك؟

فضحك:

ـ لا تقلقي! أعدك بأن لا أتسبب بوقوع السقف!

وجلس، يضبط الأوتار، فتصاعد نغم سماوي رائع، ثم بدأ الغناء، وأصغت جوانا مسحورة. لا تصدق أن هذه النغمات التي تسمعها تخرج من حنجرة الرجل الذي تحب... هذا هو طوني وكأن احداً لم يسمعه في العلن، وتساءلت متعجبة لمَ لم يشجعه ريتشارد على هذا النمط من الغناء، وانتهت الأغنية، فوضع يديه قليلاً على الغيتار ليريحهما، ثم نظر إليهما يسأل:

ـ أرجو أن تكون قد نالت إعجابكما؟

ردّت العمة بصوت خافت:

ـ إنها رائعة... لم تكن لدي فكرة عن غنائك بهذا الشكل.

ـ أنا لا أغني هكذا. لأن المعجبون يطلبون مني نوعاً آخر! وأنت جو.. ما رأيك؟ أأعجبتك؟

ـ كانت...

وتنهدت...

ـ لا أستطيع إيجاد الكلمات المناسبة. لمَ لا تسجل «شريطاً» كاملاً يتضمن مثل هذه الأغنيات؟ فأنت تستطيع الغناء لوحدك بصحبة الغيتار.

ـ سأدرس الفكرة.

فسألته العمة:

ـ هل هذه الأغنية من تأليفك طوني؟

ـ أجل.. ليست مثل أغنياتي العادية.. لكنني أحبها.

ـ لديك موهبة رائعة في التلحين والتأليف... ويمكنك اكتساب معيشتك بهذه الطريقة دون الحاجة للغناء.

ـ قد أفعل هذا يوماً ما وأتخلى عن الغناء لأركّز على التسجيلات وتأليف الاغاني لي وللآخرين.

ونظر إلى ساعته:

ـ أتمنى لو أبقى لوقت أطول.. لكن لدي اجتماع في استديو التسجيل... هل ستأتين معي جو؟

أومأت برأسها، وبعد لحظات أصبحا في السيارة، فسألها:

ـ أين تودين الذهاب؟

ـ قلت إن لديك موعداً...

ـ قلت هذا كي نخرج.

ـ آه.. فهمت.. خلتك أُعجبت بعمتي.

ـ هذا صحيح.. ولكن لا تقلقي، سأزورها كلما طلبت مني.

أمضيا الأسبوع التالي معاً في النزهات التي كانت تأخذ جزءاً من كل يوم أما الجزء الآخر كفترة بعد الظهر أو الأمسيات فكانا يقضيانها في الحفلات والرقص والحديث.

في إحدى الامسيات، وبعد أن مرت عشرة أيام على مجيئها الى المدينة.. دخلت العمة الى غرفتها لتعلمها بوجود شخص يود رؤيتها، وفي تلك الاثناء كانت تبدّل ملابسها للخروج مع طوني.. فأسرعت متمنية أن لا يكون قد أرسل احداً ما ليقول لها: طرأ عليه موعدٌ ضروري. لكن الشخص المنتظر كان بول ڤيرانت، فاتسعت عيناها تحديقاً به:

- يا للسماء ما هذه المفاجأة؟

- وأنا مندهش كذلك.

أمسك يدها وراح يتأمل شعرها اللماع المقصوص، وجسدها النحيل المخبأ بثوب «الاورغانزا» الفخم. وأكمل:

- تبدين رائعة.. بالكاد عرفتك!

- أستطيع قول الشيء نفسه عنك. ما الذي أتى بك الى هنا؟

- جئت لأحضر المعرض الزراعي في جامعة كارلتون، وفكرت أن أراك... وإن كان هذا تطفلاً مني فسوف...

- لست متطفلاً أبداً... فأنا مسرورة لرؤيتك.

ساد صمت قلق... كانت تنظر خلاله الى الساعة، وهي حركة لاحظها بول.. فقال:

- لن أؤخرك إذا كنت خارجة. جئت فقط لأرى ما إذا كنت سعيدة.

- ما هذا السؤال الذي توجهه لفتاة حديثة عهد بالخطوبة؟ بالطبع سعيدة.

فتابع تحديقه بها.

- تبدين جميلة جوانا... لكنك تفتقدين تألقك القديم.

- ما هذا الكلام! أنت تقول هذا لأنك تغار.. اوه.. أنا آسفة.. ليس من حقي أن أقسو عليك!

- قول الحقيقة ليس قساوة. فأنا حقاً أغار، وأنت تعرفين حقيقة مشاعري نحوك وتخطئين لو توقعت تغيرها لمجرد خطبتك من طوني بروكلي، فقد كنت تنظرين إليه دوماً كمثال لك ولذا احببته لكنني مسرور لأنك حصلت على ما تريدين.

تقدم منها ليمسك بيدها ويكمل:

- لكن، هل أنت واثقة من أنك ما زلت تريدين ذلك؟ وهل أن

نمط حياته يتلاءم مع نمط حياتنا نحن الاثنين؟

- لا.. لكنني أكثر سعادة معه. لا أريد أن اؤلمك بول. لكن يجب أن أكون صادقة. لا أحب أن تضيع حياتك بسببي.

رفعت نظرها إليه وعيناها مليئتان بالدموع، وقبل أن تتمكن من الممانعة غمرها بذراعيه. وفاجأهما صوتٌ غاضبٌ من خلفهما:

- ماذا تفعل بحق الجحيم؟

ابتعدا عن بعضهما لدخول طوني المفاجيء، وقد ظهر بحاجبين مقطبين بشدة، وعينان تلمع فيهما شرارات الغضب، فصاحت:

- حبيبي! لم أسمعك ترن جرس الباب.

- هذا واضح!

فقال بول:

- أرجوك.. لا تغضب منها.. فما شاهدته لتوك غلطتي أنا.

- حقاً؟ وأعتقد أنك ستقول إنها لم تشجعك؟

التهب وجه جوانا بالحرارة، لكن قبل أن تجيب تقدّم بول من طوني غاضباً.. ونهره بصوت عالٍ:

- لا.. إنها لم تشجعني! واحذر ممّا تقول!

فرد عليه طوني ببرودة:

- أنت ايضاً عليك أن تحذر ممّا تفعل.. أظنك حبيب جوانا الريفي.

ودوى صوت جوانا في الغرفة:

- طوني! لا تتكلم هكذا.. بول صديق عزيز لي.. وأنا...

فقاطعها ساخطاً:

- إذن سأتركما لمتابعة صداقتكما.. يبدو أنني أقف في طريقها.

- لا تكن سخيفاً. أعترف أنه من حقك أن تنزعج.. لكن لا

تتصرف بفظاظة.

فصاح:

- كيف تريدين أن اتصرف عندما أراك في أحضان رجل آخر؟

- لم يكن الأمر كما تعتقد!

- اتعنين أن هناك المزيد قد تأخرت عن مشاهدته؟

- كيف تجرؤ على هذا الكلام؟ إن كنت تظنني هكذا، فبإمكانك الذهاب.

دون كلمة استدار طوني الى الردهة وغادر المنزل.

تقدمت جوانا خطوة الى الأمام لتلحق به.. لكنها توقفت، ثم استدارت الى بول مبتسمة:

- يبدو أنك ستُلزم بي الليلة... إلا إذا كنت مرتبطاً بموعدٍ آخر؟

- لا شيء عندي.. لكنني لا أريد خلق مزيدٍ من المشاكل بينكما. بإمكانك اللحاق به و...

- لا.. فالكثير من الناس يركضون خلفه.. ولقد حان الوقت ليتعلم كيف يضبط نفسه ويثق بي، وإن لم يعلم بعد أنني لست كالفتيات اللواتي عرفهنّ سابقاً، فلن أنتظر كي يعرف.

مرت بقية الأمسية ببؤس، رغم محاولتها ادعاء التمتع بها.. كم كان تصرف طوني غريباً؟ وهو الذي يدعي الفهم وسعة الإطلاع، كيف يتخذ مثل هذا الموقف من رجل كان يضمها بكل عفوية. إنها لا تلومه على غيرته بل تحبّذ ذلك، لكنها لن تتساهل لفظاظته مع بول.

قاطع بول أفكارها:

- جو.. أتودين الرقص؟

اصطنعت الابتسامة على شفتيها وسبقته الى الحلبة.. فكل شيء يذكرها بطوني الذي وعدها بقضاء ليلة مميزة لا يشاركهما فيها أحد لكن لم تجر الرياح بما اشتهت، وها هي الآن تقضي ليلة كئيبة ومع

رجل آخر.

كانت الساعة تقارب الرابعة صباحاً عندما ودعت بول، وخلال عبورها ردهة المنزل سمعت صوت جرس الهاتف. فركضت لاهثة وقلبها يخفق خوفاً من أن يوقظ الجرس عمتها قبل أن تصل لترد وكان طوني الذي قال:

- منذ ساعات وأنا أحاول الاتصال بك!

- أمضيت السهرة خارجاً مع بول.

- وأفسدت سهرتنا؟

- آسفة!

- وأنا كذلك.. خاصة أنها آخر سهرة لنا.

فأحست بالقشعريرة توقف شعر رأسها لكنها سألت ببرودة:

- آخر سهرة؟

- لهذا الشهر.. فأنا مسافر الى اميركا ظهر اليوم.

- لكن.. لماذا فجأة هكذا؟

- ليست فجأة، كنا نحضر لها منذ أشهر، لكن ريتشارد أخرها لأنهي بعض الالتزامات هنا، ولترتيب الحجوزات.. فسوف أسجل هناك «البومي» الجديد.

- هكذا إذن!.. أتمنى لو أخبرتني بالأمر قبل مغادرتك المنزل بذلك الشكل.

- كنت غاضباً جداً. لكنني هدأت الآن.. نامي لتستريحي جو... ولا تتأخري في المجيء لتوديعي.

بعد إقفاله الخط... أحست بالتخدير في أعصابها... وتقدمت ببطء نحو السلم، لتصعد إلى غرفتها.

وكالعادة.. أحست بالإثارة فور دخولها الفندق ومشاهدة نظرات الإعجاب تلاحقها وهي تتوجه الى جناح طوني، إنها الفتاة

الوحيدة المسموح لها بالدخول دون اعتراض. هي فقط من بين آلاف الفتيات اللواتي يمكن أن يتخليّن عن عين من أعينهن ليأخذن مكانها.

نادى طوني من غرفة النوم:

ـ أهذا انت جو؟

دون كلام أسرعت الى الغرفة لترمي نفسها بين ذراعيه.. ما فائدة الكرامة والرجل الذي تحبه سيبتعد مئات الكيلومترات عنها وبعد ساعات قليلة؟ لم يستمر عناقهما طويلاً لانهماك طوني بتوضيب حقيبته، فقالت:

ـ دعني أقوم بهذا.

ـ لقد انتهيت تقريباً.

ـ توضّب بمنتهى الدقة والترتيب.

ـ كانت التجارب الطويلة كفيلة بتدريبي.

ـ ألا تتوق للاستقرار في مكان واحد؟

ـ الاستقرار ليس من أنماط حياتي.

عند انتهائه من وضع آخر قميص في الحقيبة ضمها بين ذراعيه مجدداً:

ـ أنا لا أقول إننا سنستمر في السفر الدائم حبيبتي... لكن إلى أن احقق الثروة الكافية.. وليس على المحتاج الاختيار.

ـ أنت محتاج؟ بل بإمكانك تحمل التوقف عن العمل فوراً، والعيش براحة لما تبقى من حياتك.

ـ لكن الغناء والسفر هما حياتي.. لبضعة سنوات قادمة على الاقل.. بعدها سنستقر في مكان واحد معاً.

ـ أتعلم أنها المرة الاولى التي تقول فيها «معاً»؟

ـ صحيح؟ إن هذا الأمر يبرز مدى غدرك بي.. فقد تسللت بدفئك الى حياتي لدرجة أنني لا أستطيع التخلي عنك.

ـ وهذا ما أرجوه.. فأنا الفتاة التي تحبها، ألا تذكر؟

فالتفت محققاً في أربعة حقائب من الحجم الكبير على السرير ثم أخذ يقفلها.. وسأل:

ـ ستعودين الى سبرينغ فيلد؟

ـ اجل.. فلا أرى فائدة من العيش هنا بدونك.

ـ إذن لا تخرجي مع صديقك المزارع. أصبت بالجنون لرؤيته ليلة امس.

ـ وأنا كذلك.. فقد غضبت منك كثيراً.. أعرف بول منذ أمد بعيد... وجرحني تصرفك ليلة أمس.

ـ لكنني أحسست بالألم عندما رأيته يضمك!

ـ لن يتكرر هذا.. لن أخرج معه إن وعدتني أنت بعدم الخروج مع الفتيات هناك.

ـ وما معنى هذا؟

ـ ماذا تظنه يعني؟ ستغيب شهراً كاملاً، ولا بد أنك ستحاط بمعجبات رائعات الجمال.. ولا أريدك أن تخرج مع أية واحدة!

ـ لا أستطيع منعهن عن اللحاق بي. ولن أستطيع الخروج ليلاً وتناول العشاء وحدي.

ـ معك ريتشارد وشباب الفرقة الموسيقية.

ـ وكل واحد منهم سيصحب فتاة! وأنا؟.. ما يفترض بي أن افعل...؟ أألعب «الاستغماية»؟

ـ بإمكانك لعب دور الخطيب المحب... ام أنك لست خطيبي المحب؟

ضاقت عيناه غضباً:

ـ ليس باستطاعة أية امرأة أن تفرض عليّ ما أفعل جو! أنا سيد نفسي! إما أن تقبلي بي كما أنا أو...

وصمت.. فأنهت له كلامه:

ـ أو نفسخ الخطوبة؟

فتنفس عميقاً وبحدة، وبذل جهداً لكي يسترخي:

ـ لا تكوني مجنونة.. لمَ تقولين هذا؟

ـ ظننت أنك ستقولها!

ـ حسناً.. لن أقولها. خطبتنا مهمة لي...

صمت ثانية وفي عينيه نظرة غريبة ثم أكمل:

ـ أتعلمين جو.. أتمنى لو كنت تملكين...

ولم يكمل كلامه... فقد دخل ريتشارد برفقة الحمّال.

بعد أن خرج الجميع، وقفت جوانا وحيدة في منتصف الغرفة لا تستطيع أن تصدق رحيله... وانتابها شعور بخسرانه إلى الأبد.

بعد ظهر اليوم التالي عادت الى قريتها. ولدى وصولها أحست أن غيابها دام سنة كاملة، رغم انها لم تغب عن البيت إلا لبضعة أسابيع وربما يعود السبب في ذلك لما مرت به. لم يقتصر التغيير على شكلها فقط وإنما تعداه الى الداخل، حيث تبدلت تلك الفتاة البريئة المتفوقة، ولم تعد تصدق أن الحب يمكن أن يقلب الدنيا رأساً على عقب.

استقبلتها السيدة مارك، مدبرة المنزل المؤقتة:

ـ مساء الخير جوانا. لم يعد والدك بعد.. والعشاء جاهز.. عادة أبقى هنا لأقدمه له.. لكن...

ـ لا حاجة لبقائك الآن. أنا واثقة أنك متلهفة للذهاب.

قالت السيدة وهي ترتدي معطفها:

ـ أتريدين أن أكمل العمل فيما تبقى من الاسبوع؟

ـ بالطبع! فليس من العدل أن يتمتع أبي بطعامك وخبزك اللذيذ وحده!

في المساء التالي روت لوالدها وصفاً مختصراً لإقامتها في المدينة، بتركيز زائد على زيارة طوني لعمتها، وإخفاء امتعاضها لسفره المفاجيء الى اميركا. وأنهت كلامها:

ـ ها قد عدت لأعتني بك مجدداً... والباقي يبدو كأنه حلم.

ـ من الصعب أن يكون حلماً عزيزتي.. لن يغيب طوني إلى الأبد... وسرعان ما ستعودين إليه.

ـ أتستعجل زواجي؟ ظننت أنك تريد التمهل؟

ـ ولا زلت. لكنني واقعي. فلا أجد طوني مضطراً لادّخار المال من أجل الزواج.. وليس بإمكانه تحمل خطبة طويلة، ففي دائرة حياته لا يحصلون اصلاً على خطبة!

ـ ولا حتى زواج! وهذا ما يقلقك.. اليس كذلك؟

ـ لست قلقاً على نفسي جوانا، بل ما يشغلني هو سعادتك.

ركز والدها نظره على حلواه ثم تابع:

ـ ولنعد الى تدبير المنزل:.. أظن أنني أرغب في استبقاء السيدة مارك. لقد اعتنيت بي بكل اخلاص منذ وفاة والدتك، ولطالما أحسست بالذنب لأجلك.

ـ هراء! لقد وجدت متعة في خدمتك.

ـ حسناً.. هذا ليس من واجباتك. كنت سأضع حداً للأمر حتى مع عدم ظهور طوني في حياتك. أنت شابة ولك حياة خاصة، ولا يجب أن تدفني نفسك في خدمة والدك، فأنت الآن أنيقة متألقة لا يناسبك الغبار وجلي الصحون.

ـ هل أعجبك التغيير؟

ـ لطالما عرفت أنك جميلة، هل هي فكرة طوني؟

ـ بل فكرتي أنا، وقد أدهشه التغيير.

في تلك الليلة وهي تخلد إلى الفراش، فكرت بما قاله أبيها من

أن طوني لا يحتاج لتوفير مالٍ للزواج، ومع ذلك لم يقترح موعداً له.. على الاطلاق، ووجدت في تحليل ابيها كل الحق.. وسرعان ما تذكرت رحلتهما في المركب فارتجفت لتلك الذكريات، متسائلة: لمَ لم يسمح لنفسه أو لها بأية إثارة منذ ذلك الوقت؟ أيدل هذا على مدى حبه لها؟ أم العكس؟

مر الاسبوع التالي متثاقل الخطى، ووجدت نفسها مضطرة لابتكار أشياء لملء الفراغ. كانت تمضي بعد الظهر بالتسكع في الحقول ومنحدرات التلال. فمع استلام السيدة مارك امر تدبير المنزل، لم يعد لديها أكثر من ترتيب غرفتها. حتى اقتراحها تحضير طعام ما كانت تفعله بكل لباقة، وفكرت جدياً بالعودة الى العمل في فندق القرية الذي عملت فيه قبل وفاة والدتها.

كانت تكتب له يومياً، تصف ما تمر به، وتخبره كيف تقضي أيامها، في حين لم تتلق منه سوى رسالة صغيرة يقول فيها: أعمل ثماني عشر ساعة في اليوم... أنا مشتاق جداً لرؤيتك حبيبتي...

بعد عشرة أيام من رحيله اتصل بها أثناء غيابها عن المنزل، فاصيبت بخيبة أمل لأنها لم تكلمه.

وكانت الخيبة أكبر عندما قرأت صحيفة يوم الاحد، وفوجئت بأن طوني قد يتأخر في أميركا لأكثر من شهر وقرأت أيضاً: «فتى كندا الأول يوقع عقداً لفيلم في اميركا».

لا عجب إذن في انشغاله عن الاتصال بها! وإن صحّت أخبار الصحف، فسينشغل في القريب العاجل لدرجة عدم تمكنه من رؤيتها بعد ذلك.

بعد ظهر ذلك اليوم خرجت جوانا للسير كالعادة ولكن الى مكان أبعد وبخطى أسرع جعلت أقدامها تتناغم مع سرعة تفكيرها... لا يمكن لأي شيء أن يوقف هذه الأفكار، إلا منظر فتاة كانت تسير

أمامها تعرج بطريقة سيئة ممّا أعاد جوانا الى مزاجها العادي، فتقدمت راكضة، وأمسكت بالفتاة التي كانت في مثل سنها تقريباً، ذات شعر طويل أشقر، ووجه جميل جذاب، لكنه متجهم من الألم. وسألتها جوانا:

ـ هل تأذيتِ؟

نظرت إليها الفتاة بعينيها الواسعتين الرماديتين وصرخت متألمة:

ـ انه كاحلي... التوى وأنا أركض في الحقل... كم أنا غبية! لكن... آه...

وتمسكت بذراع جوانا، التي قالت بثبات:

ـ ضعي ذراعك على كتفي، واستندي إليه. أتظنين أن بإمكانك الوصول الى الطريق الرئيسية؟ فهي ليست بعيدة، ولدى وصولنا اليها سنستقل الباص أو نستوقف سيارة.

ـ سأحاول... هذه طيبة كبيرة منك.

وبخطى بطيئة اجتازتا مسافة المئة والخمسين متراً التي تفصلهما عن الطريق الرئيسية. ومن جراء مشقة السير تضخّم كاحل الفتاة الى ضعف حجمه الطبيعي، ممّا زاد في شدة تألمها منه وأخيراً وصلتا الى المكان المقصود، ولحسن حظهما صادفتا سيارة سرعان ما تعرفت جوانا على سائقها وأبدى استعداده لإيصال الفتاة المصابة الى حيث تشاء فقالت الفتاة:

ـ أنا أقيم في المزرعة القريبة.

فسألتها جوانا بدهشة:

ـ مع بول؟

ـ بل مع والدته، أتعرفينهما؟

ـ جيداً.

ـ إنني صديقة للعائلة. واسمي باتريسيا غبسن.

ـ أوه... أجل... لقد تذكرتك الآن... كنت تعيشين هنا أيام طفولتك.

ـ هذا صحيح، كنا نعيش في المنزل الأحمر الذي يقع في الجهة الأخرى للنهر، وكنت ألعب مع بول.. وكان يكبرني بست سنوات و...

وصمتت متألمة، فطمأنتها جوانا:

ـ سنصل قريباً الى المزرعة، وسأساعدك أنا وديك لدخول المنزل.

ـ كم أنا سعيدة بلقائكما، وكم هي رائعة هذه العادات القروية التي تحث الناس على الالتفاف حول بعضهم في أوقات الحاجة.

فابتسم ديك:

ـ ويلتفون حولك أيضاً عندما لا يكون هناك حاجة.

فضحكت الفتاتان.

ما إن وصلوا الى المزرعة حتى أحست جوانا بالارتياح لمشاهدة بول عند الباب.. وبعد أن اطلع على الأمر، حمل باتريسيا بين ذراعيه، وأدخلها إلى غرفة الجلوس ثم مدّدها على الكنبة.

في ذلك الوقت كانت السيدة ڤيرانت تسعى لتأمين الراحة للفتاة. فتمتمت جوانا:

ـ عليَّ الذهاب الآن.

فقالت السيدة ڤيرانت:

ـ ليس قبل تناول الشاي.

ونظرت الى بول وهو يربط قدم باتريسيا بكل براعة:

ـ أتظن أنه يجب استدعاء الطبيب؟

ـ لا.. فهو مجرد التواء بسيط... ثم أن باتريسيا تثق بي، أليس كذلك أيتها الفتاة العجوز.

فابتسمت باتريسيا واستلقت مغمضة العينين، محاولة أن لا تظهر ألمها. كانت صغيرة ونحيلة، لبشرتها بياض الصحة العليلة، ولشعرها لون ذهبي ونعومة حريرية... وشيءٌ ما فيها يفتن الناظر إليها، رغم انها ليست جميلة. وفجأة فتحت عينيها الرماديتين لتنظر مباشرة الى جوانا، ثم ابتسمت:

ـ لا تحاولي أن تتذكريني، فقد كنت في العاشرة من عمري يوم غادرت القرية، بعد خلاف والداي، وذهبت للعيش مع والدتي في فورت وليام في مقاطعة اونتاريو.

فقال بول:

ـ من مكان رائع إلى مكان سخيف.

ـ ليس بالنسبة لأمي، لأنها في الأصل من تلك المنطقة، وقد عادت الى جذورها.

ـ كيف يمكن لإنسان ان يكون له جذور هناك؟

فضحكت باتريسيا:

ـ لقد وجدت سعادتها هنا.. أليس كذلك؟

ـ بالفعل..

والتفت الى جوانا:

ـ لقد التقت امها بتاجر فراء اميركي جاء عبر البحيرة وبعد عشرة أيام فقط أصبحت زوجة له.

ـ ما هذه القصة الجميلة، هل ستذهبين معهما الى أميركا؟

ـ لا.. فإن فعلت أشعر بأنني أقف في طريق سعادتهما فسأعطي نفسي فرصة للراحة أولاً.

وقالت السيدة ڤيرانت لدى إدخالها صينية الشاي:

ـ لذا هي هنا.. لقد أصيبت بانفلونزا حادة وجاءت الى الريف للاستجمام.

- جئت إلى أوتاوا للعمل بعد سفر أمي الى أميركا. وعملت سكرتيرة في اتحاد المزارعين، ومنذ بضعة اسابيع التقيت ببول في جامعة كارلتون حيث أقيم المعرض الزراعي.

فضحك بول:

- لقد عرفتني من بين الأبقار.. ثم أغمي عليها بين ذراعي.

قالت باتريسيا شارحة:

- حصل ذلك بسبب الانفلونزا وعندما علمت السيدة ڤيرانت بذلك أصرت على قدومي الى هنا لأمضي فترة نقاهة.

وقالت السيدة ڤيرانت بحزم:

- إن طقس الريف الجميل كفيل بشفائكِ مجدداً.

فداعبها بول:

- شرط أن لا تلوي الكاحل الآخر، وإلا ظننت بأنها لا تريد الوقوف على قدميها مجدداً!

ردت باتريسيا بخفة:

- ذكاء منك أن تعرف برغبتي في البقاء هنا. لكن رئيسي في العمل لم يعطني الاجازة إلا لأسبوعين، وسيتألم قلبي لفراقكم عند انتهائهما.

- ستبقين هنا إلى ان تشفي، وإن لم يقبل رئيسك بذلك فليبحث عن سكرتيرة أخرى.

- لكنني أحب عملي.

- وتحبين الريف أيضاً، أظن أنكِ تشعرين بهذا.

أحست جوانا بالإحراج لهذا الكلام الغزلي المتبادل فوقفت:

- أفضل أن أذهب الآن. وداعاً باتريسيا أتمنى لك الشفاء العاجل.

- شكراً لك.. وأشكر مساعدتكِ لي.. فلولاك لم أكن سأتمكن

من الرجوع، وكنت سأبقى اجرّ نفسي في الحقول حتى الآن!

لحق بول بجوانا.

- سأوصلك الى المنزل.

- ليس ضرورياً.

- صحيح، لكن مع ذلك سأوصلك.

بعد انطلاقهما قال:

- حسناً.. هل كل شيء على ما يرام بينك وبين طوني؟

- ولمَ لا يكون هكذا؟

- لقد كان غاضباً يوم شاهدنا معاً.

- لم يكن ذاك ذا أهمية.. لقد استعاد وعيه بعد وقت قصير.

- إنه في اميركا الآن.. اليس كذلك؟

- أجل... باتريسيا فتاة طيبة.. من حسن حظك أنك تعرفت عليها في اوتاوا... تبدو بحاجة لإجازة طويلة.

- هذا صحيح... لقد توفي والدها.. وصارت أمها تهتم بنفسها فقط. هذا ما اوحت به باتريسيا، مع أنها تتظاهر بالعكس، فهي مخلصة لأمها.

- لم تعد صغيرة.. فهي في سني.

- لا زلت أفكر بها كطفلة ذات ضفيرتين مسدلتين على الكتفين، وأما الآن فالبرغم من شعرها المقصوص ووجهها المعتنى به، كنت سأعرفها لو رأيتها في أي مكان.

نظرت إليه جوانا بفضول... واضح أن باتريسيا أحبته، يبدو أنه لم يدرك هذا. كم أن بعض الرجال أغبياء. إنهم لا يرون أبعد من انوفهم.

اوقف بول السيارة امام المنزل، فترجلت منها، إلا أنه سألها:

- أأستطيع رؤيتك ثانية؟

ـ ليس كما تقصد.. فهذا ليس من حقك.

فهز رأسه ملوّحاً بيده، ثم انطلق مسرعاً.

تقدمت جوانا لتفتح الباب والقلق مسيطر عليها، فقد تقبّل بول رفضها بكل سهولة على غير عادته... ربما كان يشعر بوجود باتريسيا على عكس ما اعتقدت.

وبألم مفاجىء غير منطقي نتيجة الغيرة.. أقفلت الباب وراءها بضربة عنيفة.

* * *

٦ ـ حان وقت البكاء

مع استمرار هطول المطر أسبوعين على التوالي، تحوّلت الاراضي الريفية إلى شبه نهر من المياه الموحلة التي أخفت تحتها العشب الاخضر تماماً. وتسببت الأمطار الغزيرة بانحناء أغصان الأشجار، ومن كانت لديه الشجاعة الكافية للمخاطرة بالخروج فلا مفر له من السير محني الظهر مخفياً يديه في جيبي معطفه الواقي من المطر.

وصلتها في تلك الاثناء رسالة مختصرة جداً من طوني، عرفت أنه كتبها في استديو التسجيل ذاته، لأنها بدت مقتطعة من دفتر تسجيل النوتات الموسيقية قال فيها: آسف لأنني لم استطع التحدث إليك يوم اتصلت هاتفياً. لدي الكثير ممّا أودُّ قوله لك. لكنني أكره الكتابة. واذا تمكنت...

بضع كلمات تالية كانت مشطوبة.. ثم توقيعه وملاحظة: «اشتقت اليك».

دخلت عليها السيدة مارك تحمل قهوة منتصف الصباح:

ـ جوانا.. هل أحضر لكِ قطعة كايك مع جوز الهند؟ لقد صنعتها لتوي.

بجهد، ابتسمت جوانا:

ـ لا.. شكراً لك. يجب أن أراقب وزني.

- لا حاجة لهذا، فقد خسرت كثيراً من وزنك.. سأحضر لك واحدة.

عادت المرأة بعد قليل تحمل طبقاً من قطع الكايك، ورسالة باليد الأخرى.

- أوصلها ساعي البريد الآن. إنها لك.

أمسكتها بلهفة وتفحصتها، لم يكن عليها طابع أميركي. وقرأت ما خُتم على الطابع: «ارفتون» مقاطعة «البرتا».. من يمكن أن يكتب لها من هناك؟

عاد والدها وقت الغداء ليفاجأ بها وقد تحولت الى فتاة مرحة سعيدة بعد أن تكهن بعدم رؤيتها بهذه الصورة ثانية، فهل أخذ خطيبها المهمل أخيراً سماعة الهاتف وكالمها أم تعقل وأرسل لها تذكرة طائرة لتلحق به؟

يبدو أن شيئاً من هذا القبيل لم يحصل.. فعندما ستقرر جوانا الذهاب الى نيويورك، فإن ذلك سيحدث بقرار خاص منها وعلى نفقتها، ولدى دخول والدها المنزل هتفت بسرور:

- ميراث...! خمسة آلاف دولار من لوارا برادشو.. لا أستطيع التصديق.. انظر!

ورفعت الشيك في الهواء، فقال السيد لايتون.

- لا أستطيع أن أرى إن لم تقفي ثابتة، يبدو أنه غب الطلب.

- طبعاً.. هذا ما قاله محاميها، لقد ماتت منذ سنة وتركت لي المال.. أما بالنسبة للأملاك فسيستغرق تحصيلها وقت أطول. هل صحيح أنها كانت ابنة عم لأمي؟

- أقرب ابنة عم لها. ولم نرها منذ سنوات.

- إنها رائعة، وارجو أن تسامحني لتبذيري المال في السفر.

- السفر؟

- أجل.. إلى اميركا.

ساد صمت قصير، ثم قال:

- آه... لكن أليس من الأفضل استثمار هذا المال فيما يعود عليكِ بالفائدة؟!

- سأستثمره.. اذا تفهَّمت قصدي.

فرد ببطء:

- اجل.. أعتقد أنني فهمت، هل أخبرته؟

- لا.. أريد مفاجأته.

- أتظنين هذا من الحكمة؟ أنا شخصياً، أحب إخطار الآخرين بما أودُّ فعله.

- أظن لو أعلمته سيرفض الفكرة.

- لو فعل، على الأقل ستوفرين ماله.

- لكن ليس راحة بالي... أرجوك أبي.. لا تستمر في النقاش.

بعد ثمانية واربعين ساعة، كانت جوانا تخرج من طائرة بان اميركان في مطار كنيدي الدولي في نيويورك، ثم استقلت التاكسي الى فندق ولدورف استوريا.

لم تغب الابتسامة عن وجهها حتى وصلت الفندق الفخم، وبعد أن أعطت السائق أجرته لحقت بالحمالين الذين كانوا اسرع من البرق في إنزال حقائبها، واستُقبلت بنفس العرعة والترحاب عند طاولة الاستقبال. وسرعان ما رافقها موظف الى باب من ابواب المصعد الكثيرة التي صُفّت جنباً الى جنب، ودار رأسها كالدوامة.. هذا ليس فندقاً، بل أنه عالم قائم بذاته، له محلاته ومطاعمه الخاصة، ونواديه الليلية، ومقاهيه، ويستطيع المرء أن يحيا ويموت دون أن يعرف به احد.

كانت غرفتها في الطابق العاشر... واسعة ومفروشة بأثاث

عصري.. لو علم طوني بمجيئها فقد يرسل لها مع ريتشارد ملء الغرفة أزهاراً. لا.. فهو لا يفكر بهذه الأشياء الرومانسية وممّا يدل على ذلك إهمال تلبيسها خاتم الخطوبة حتى الآن وبالرغم من عدم تعليق والدها وعمتها على الأمر إلا أنها كانت تحس دهشتهما، وتعتذر لهذا قدر المستطاع.

قد لا تحصل على خاتم منه، وهذا ما جاءت لتعرفه هنا. من المستغرب انها تحس بالبرودة تجاه الامر. وكأنه لم يعد يهمها كثيراً. لكن يجب عليها ان تكون جوانا لايتون الآلية للبضع ساعات القادمة.

أحست بالجوع، فنزلت الى الطابق السفلي بعد أن رتبت ملابسها لتتناول طعاماً سريعاً، ورخيصاً، أنهته بفنجان قهوة. وفيما هي جالسة في ذلك المكان، تمنت لو أنها لم تحضر، او على الأقل لو اقامت في فندق اقل فخامة واصغر حجماً.. فهي هنا كالمنتظر في محطة قطار. يبدو الجميع سعداء واثقين من انفسهم، فالنساء في أفخم الاثواب وأكثرها اناقة، والرجال انيقون، أما الفتيات الشابات فإنهن واثقات جداً من أنفسهنّ، بينما الاولاد في أحسن ازيائهم.

عندما أصبحت الساعة السادسة ازدادت جوانا توتراً وحيرة... أتتصل بجناح طوني أم تصعد إليه بنفسها وتفاجئه، كما خططت من البداية؟ أسرها التردد، أصبحت الساعة السابعة ولم تستجمع بعد شجاعتها وتتوجه الى المصعد لتطلب الطابق الثاني عشر. كم هي محظوظة بمعرفة الطابق الذي يقيم فيه!

ودون أن تعطي نفسها فرصة للتفكير، أصبحت امام غرفته تدق الباب وكررت ثانية وبقبضة أقوى هذه المرة، من المؤكد ان طوني قد عاد الآن من استديو التسجيل؟ أدارت مقبض الباب، واندهشت لسرعة فتحه، فتنفست عميقاً ثم دخلت. ما إن اصبحت في منتصف الغرفة حتى لاحظت أنها ليست وحيدة، فهناك فتاة تجلس على مقعد

قرب النافذة. ساقاها النحيلان مطويان تحتها تحمل سيكارة بين أصابع يدها الحمراء الأظافر. عند سماعها الشهقة، وقفت لينكشف أمام جوانا شعر أسود محمرّ ووجه مليء بالماكياج.

إنها رونا اندروس! وحدقت جوانا فيها غير مصدقة، وغير قادرة على الكلام!

وقالت الفتاة ساخرة:

ـ حسن جداً... لم أكن أعرف أنك جئت مع طوني!

فردت جوانا ببرودة:

ـ لم آتِ معه.. لقد وصلت لتوي.

فهزت كتفيها:

ـ وأنا كذلك جئت لرؤيته. فلي الحق بهذا مثلكِ تماماً.

بجهد سيطرت جوانا على أعصابها:

ـ وأين هو الآن؟

ـ ربما يحاول التهرب منكِ كما فعل معي منذ يومين!

ـ أشك في هذا، فهو لا يعرف أنني قادمة، ولكنني الآن هنا.. فأرجو أن ترحلي.

فقالت رونا بفظاظة:

ـ توقفي عن التمثيل. فلن يخدعني وجهك الطفولي البريء، لم اصدق مطلقاً أنك ستبقين مخطوبة له لشهرين.. فدقيقتان تكفيان! لقد اخترع كل شيء ليتخلص مني!

لم تستطع جوانا السيطرة على أعصابها، فجلست في اقرب كرسي:

ـ أنا واثقة ان هذا ليس صحيحاً. فاذا لم تعودي تروقين له. فلا حاجة لأن...

ـ أروق له؟ كان مجنوناً بحبي. لم يعرف السعادة إلا معي..

وكان بصحبتي طوال الوقت! لكن ما أن اعلن زوجي عن رغبته في طلاقي حتى أجبر ريتشارد طوني على الابتعاد عني!

ـ وما شأن ريتشارد بالأمر؟

ـ لا شيء... سوى أنه لا يريدني أن أكون السيدة بروكلي، فهو يعلم تماماً انه بمجرد ان أصبح زوجة لطوني سأسعى لطرده.

ـ لا أصدق أن ريتشارد يستطيع إعطاء الأوامر لطوني.. وخاصة في حياته الشخصية.. فلم يتوقف طوني عن مقابلتك إلا لأنه توقف عن حبك.

فضحكت رونا ضحكة تبعث الرعدة الباردة:

ـ ربما انت بالفعل بريئة! ويجب أن تكوني هكذا.. وإلا لما صدقت ما تقولين! طوني لم يتوقف مطلقاً عن حبي، وكان مستعداً للزواج مني، إلا أن ذلك الغول الضخم أقنعه بالعدول.

ـ وكيف يمكن أن يتزوجك وانت متزوجة؟

ـ كان مستعداً للشهادة في محاكمة طلاقي دون الاهتمام بالنتائج، لكن ريتشارد ضغط عليه وقال له إن هذا سيدمر صورته التي يحاول أن يبنيها له، وكذلك سيغضب صاحب شركة «مايسون ريكوردز» ذلك المتدين المجنون. لذا كان امامه إما عقد التسجيل، وإما أنا... وما قبل طوني بخطبتك إلا لأنها تعني الخلاص مني. أتتصورين أنه سيتزوجك؟ ربما نسي الآن أنك موجودة، وبعد ان بدأ بتنفيذ العقد لن يضطر للابتعاد عني ثانية...

فوقفت جوانا بهدوء.. وأشارت الى الباب:

ـ أظن أن من الأفضل لك الذهاب.. اعطني عنوانك، وإذا أراد طوني الاتصال بك...

فصرخت رونا بهستيريا:

ـ لن أذهب الى أي مكان، سأبقى هنا!

ـ اذن، سأتصل بأمن الفندق وأطلب منهم إبعادك عن هذا المكان.

لم تذكر جوانا من أي تمثيلية تلفزيونية كانت تردد هذا الكلام، إلا أنها لاحظت مدى نجاحه.

تحولت بشرة رونا الى لون مبقع بالاصفرار بدا واضحاً تحت شعرها القاتم، وأصبحت عيناها بركانان يفوران بالحقد.

ـ طوني لي! أيتها الحمقاء! قد تتوهمين أنك حصلت عليه.. لكن...

أسرعت جوانا الى الهاتف، ورفعت السماعة:

ـ اخرجي من هنا! اخرجي الآن قبل أن أطلب رجال الأمن!

ـ لا تزعجي نفسك.. سأخرج.. لكن قولي لطوني إنني أقيم في فندق الهيلتون، وأنتظر منه مكالمة.

وصفقت الباب بعنف وراءها.

رمت جوانا نفسها فوق مقعد ذا متكئين.. لم تفهم تماماً معنى كلام رونا، مع ذلك فقد دقت لها ناقوس الخطر بالنسبة لمستقبلها مع طوني.. فهو لا يحبها، ولم يحبها في الواقع.. ولم يطلب منها الزواج إلا كوسيلة للخلاص من دعاية فاضحة حول علاقته مع رونا... وكل ما دار حولها هو مجرد ادعاء كاذب.

فُتح الباب، فرفعت رأسها متوترة الحس بينما دخل طوني وريتشارد، وكان طوني يقول:

ـ يجب علينا أن...

وصمت صمْتُ الأموات عندما رأى الفتاة التي تواجهه.

حدق بها للحظات وكأنه يرى شبحاً.

ـ جوانا..؟ ماذا... متى.. كيف.. كم مضى على مجيئك الى هنا؟

ـ انتظرتك طويلاً... وكانت غلطة.. ما كان يجب أن أحضر إلى هنا!

وقفت فسارع إليها يمسك بها:

ـ ما الخطب جوانا؟

بشهقة، خلصت نفسها من قبضته.

ـ اتركني وشأني! لا تلمسني ثانية؟

ـ ما الأمر؟ لا أفهم شيئاً! كلامك غير واضح!

ـ بل أنه واضح جداً. لقد عرفت كل شيء يا طوني... عرفت سبب خطبتنا السريعة، وسبب ادعائك أننا نعرف بعضنا منذ زمن، وبإمكانك التوقف عن الادعاء. أسمعتني؟ لقد أخبرتني رونا كل شيء.

فصرخ طوني:

ـ تلك العاهرة! متى التقيتها؟

ـ لتوي.

ونظرت الى ريتشارد بازدراء ثم أكملت:

ـ إنها تقيم في الهيلتون... وأنا واثقة ان كلاكما يود التحدث إليها.

قبل ان يرد ريتشارد صاح طوني:

ـ لن أرغب في التحدث إليها ثانية. إنها لا تعني لي شيئاً.. جو.. يجب أن تصدقيني!

ـ أتريد أن أصدق أيضاً أنك كنت متيماً بي عندما طلبت الزواج مني؟ وأنك لم تقدم على هذا لمجرد إنقاذ سمعتك وعقدك مع مايسون ريكوردز؟

ـ هذا كان السبب في البداية. لكنه لم يعد كذلك.. فأنا أحبك الآن يا جو... وأنا...

فارتفع صوتها بالصراخ:

ـ لا تكذب عليّ! ألم تخدعني ما فيه الكفاية؟ هل يجب أن تستمر في جعل الأمر اسوأ ممّا هو عليه؟

فتدخل ريتشارد بإلحاح، وأبعد صديقه من الطريق:

ـ لا تلومي طوني.. أنا من خطط للفكرة.. فلو ذُكر اسمه في قضية طلاق رونا، لكان مضطراً للزواج منها، وهو لم يرد هذا مطلقاً.. إنه...

فصاح طوني وعيناه تتأملان في وجه جوانا الشاحب:

ـ اخرس يا ريتشارد، ألا ترى أنك تزيد الأمور سوءاً؟ اتركني وحدي مع جو... أود قول أشياء كثيرة لها...

فقاطعته:

ـ لا أريد سماع شيء منك، ولن أصدقك، فأنت كاذب، منافق، غشاش، ولا أريد رؤيتك ثانية!

كانت على وشك ان تغادر وتتركه، لولا أن وقف ريتشارد في طريقها:

ـ لا يمكنك الذهاب هكذا جوانا... يجب أن نناقش الأمر. أعرف أنك تشعرين بالألم والغضب، وقد أشعر بهذا لو كنت مكانك... لكن يجب أن تكوني متعقلة، كنا ننوي قول الحقيقة لك... في الواقع كان طوني يقول لي منذ أيام...

صرخ طوني بصوت راعد:

ـ ريتشارد! ألم تفهم بعد أنك تزيد الأمور سوءاً؟ دعني أتكلم مع جوانا وحدنا.

انهمرت الدموع من عيني جوانا، وقالت مختنقة:

ـ لا... من الأفضل أن أصغي لريتشارد.. فهو على الأقل يملك كرامة كافية للتوقف عن الادعاء.

وقال ريتشارد محاولاً تلطيف الأمور.

- من المؤكد أنني لا ادعي. وكل ما أريده أن تفهمي السبب في فعلتنا هذه.

- أعرف السبب، فرونا كانت أكثر من صريحة.

- الامر كان أكبر من مجرد عقد مايسون ريكوردز.. كنا نتوقع عقداً لفيلم.. وهوليود الآن سترمي في طريقنا الورود.. لذا كان ضرورياً لنا إبعاد سمعته عن الفضائح وابقائها نظيفة، وعندما صادفتك خارج المسرح، بدا وكأن القدر وجهني لأقوم بما فعلت. كل ما نريده منك الاستمرار في الخطوبة لبضعة أشهر على الأقل... وما إن تتطلق رونا...

- وما الذي يمنع زوجها من توريط طوني الآن في القضية؟

- لأن طوني لم يظهر معها مجدداً في أي مكان محدَّد الأمر الذي لن يمكنه من إثبات تقابلهما. فقد انحصر وجودها في جناحه وفي المركب.

صرخ طوني مرة أخرى:

- ريتشارد!

ونظر الى جوانا نظرة عذاب:

- جو.. دعيني أكلمك على انفراد.. أتوسل اليك.

فقالت ببرودة:

- لست مضطراً إلى التوسل، ريتشارد يتكفَّل القيام به بدلاً عنك؟ هل عندك ما تضيفه يا حضرة المدير؟

- كل ما أريد قوله: خذي الأمور كما أوضحتها لك، ولا تتخلي عنا الآن.. فكري بملايين الناس المؤمنين بطوني.. من يسعدهم سماع أغانيه وصوته. فأنت لا تنوين تدمير كل شيء بهذه السهولة.. أليس كذلك؟ بإمكان شركة مايسون ريكوردز تمزيق العقد في أي وقت، وإن حصل هذا قد يتأثر عقده مع هوليود. وكل ما أطلبه منك

الصبر حتى يصل طوني الى منتصف تصوير أول فيلم له، حيث لن يستطيعوا بعد ذلك التخلي عنه حتى ولو قتل أمه!

- أنت رائع في وصف الأمر.

لاحظت في وجه ريتشارد عدم الاهتمام لسخريتها، فكل ما يهمه هو المكسب والخسارة، وهو يسعى الى إبعاد طوني، ونفسه بالتالي عن أية خسارة. وأكمل متوسلاً:

- أرجوك اقبلي بهذا جوانا، فأنت لست فتاة حقودة.

نظرت إليه طويلاً بصمت:

- أنت رجل عديم الإحساس، قاس، وذكي. لقد بدأت أفهم كيف استطعت اقناع طوني بما فعل.

- إذن انت موافقة على الاستمرار؟

- أجل.

فتنهد طوني بارتياح والتقت عيونهما، فقالت بمرارة:

- ليس السبب في موافقتي الشعور بالعاطفة تجاهك... بل لأنني لا أريد لآلاف الفتيات المؤمنات بروعة صوتك الذي لا بد أن تكون أخلاقك مثله، معرفة مدى انخداعهن بك!

اشتد شحوب وجه طوني لكنه لم يرد... فوقفت، سألها ريتشارد:

- الى أين أنت ذاهبة؟

- إلى غرفتي.

- تحدثي إلى طوني قليلاً، فهو لم يصبح بعد عدوك، ولا ذنب له في كون الفتيات يرمين بأنفسهن عليه.

- بالطبع لا... لكنه يقوم بتضحية عظيمة كلما وافق على معاشرة إحداهن!

فضحك ريتشارد لكنه شاهد تعبير وجهها الصارم فصمت، وسارع

بالخروج، تاركاً جوانا وطوني وحدهما، فتقدم طوني نحو طاولة مليئة بأنواع الشراب:

ـ ماذا ترغبين؟

ـ لا شيء.

سكب لنفسه كأساً من الشراب المنعش، وأسند ظهره الى الطاولة لشربه. فتح فمه وكأنه يريد الكلام، ثم صمت... فقالت ببرودة:

ـ لا تزعج نفسك بالتفكير بما ستقول.. لا أرغب في سماع شيء.

ـ أنت مصممة على الظن السيء بي.. أليس كذلك؟

ـ وهل هناك اي شيء جيد يمكنني التفكير به؟

ـ لقد قلت لي إنك احببتني. أكنت تكذبين؟

ـ لقد احببت شخصاً لا وجود له، فلو وجد طوني الحقيقي فهو حتماً قصاصة من البلاستيك يملك موهبة منحها الله له.

ـ على الأقل اعترفت بالموهبة.

ـ إنها الشيء الوحيد الجيد لديك. لو انتزعت منك لن يبقى لوجودك معنى.

فرمى الكأس من يده بقوة وصرخ:

ـ اسمعي ما سأقوله جيداً! ما حصل قد حصل. ولا فائدة من التذمر والانتقاد اللاذع، لكن، إذا كنت ستستمرين بالتمثيل، فعليك على الأقل أن تعطي الوضع صورة محترمة. وستكونين حرة في أسرع وقت ممكن، وطالما انت معي ستتوقفين عن معاملتي وكأنني الوحش، أهذا واضح؟

ـ حسناً. لن أستطيع نسيان ما فعلته، لكنني... سأحاول أن أكون لطيفة معك.

ـ شكراً..

وأدار ظهره لها:

ـ من الأفضل أن تذهبي إلى غرفتك وتبدّلي ملابسك.. أنا واثق أن ريتشارد قد رتّب لنا احتفالاً كبيراً الليلة.

كانت الأيام التالية غريبة جداً على جوانا.. فقد أصرّ طوني على اصطحابها لمشاهدة المدينة، ولعلمها ان ريتشارد قد اذاع خبر وصولها، اعتبرت هذا جزء من التمثيلية. فقد تصورا معاً في السنترال بارك، في حديقة الحيوانات، تحت تمثال الحرية، وهما يتمشيان على ضفاف نهر الهدسون.

ريتشارد وطوني، لم يأتيا على ذكر رونا.. وتساءلت جوانا هل اقنعاها بالعدول عن خلق المشاكل لهما؟

بعد اسبوع من وصولها طلب من طوني الظهور كضيف في احد مسارح برودواي.. صحيح أن المسرح صغير، والانتاج غير مكلف.. حسب المقاييس الاميركية.. لكن الشهرة التي سيكتسبها من خلال دعوته للمشاركة في هذا الاستعراض بالذات لم تقدّر بثمن.

سأل طوني ريتشارد قبل ثلاثة أيام من موعد الاستعراض:

ـ ماذا سأقدم؟ من البومي الجديد ام من الأغاني القديمة؟

ردّ ريتشارد جازماً:

ـ بل من ألبومك الجديد!

فاقترحت جوانا:

ـ لمَ لا تؤدي الاغنية التي أسمعتنا إياها في منزل عمتي دولوريس؟

وسألها:

ـ أتظنين أن الشبان سيُعجبون بهذا النوع من الأغاني؟

ـ لا أرى المانع. كانت اغنية رائعة، وبدت صادقة.

احمر وجهه، وكأنه فهم ما وراء ملاحظتها، فاستدار عنها

بصمت. وسأل ريتشارد:

ـ أية اغنية تتحدث عنها جوانا؟

ـ اغنية ألفتها منذ أشهر.. لمزاجي فقط. وليس لتأديتها أمام أحد.

تدخلت جوانا ثانية:

ـ ولمَ لا؟ أنا واثقة أن معجبيك سيرغبون في سماعها. حاول أن تغنيها، وإذا لم تعجب الجمهور، بإمكانك تأدية غيرها.

بعد انقضاء ثلاثة أيام، جلست جوانا في مقعد خاص بها وسط ظلمة مسرح برودواي، تراقب تحرك طوني، وعندما سمعته يبدأ في عزف لمقدمة الأغنية التي اقترحتها، علمت أنه سيعمل بنصيحتها. ظهر على المسرح منفرداً، يجلس بمواجهة المذياع، والغيتار في حجره، وبخلاف مظهره المعتاد المثير كان يرتدي بنطلوناً عادياً وقميصاً من الحرير. وسرت بين الجمهور همهمة استغراب، لكن سرعان ما ماتت، حال ابتدائه العزف. لم تكن الأغنية ذاتها التي غناها في بيت عمتها، بل واحدة أخرى إيقاعها أكثر مرحاً، حول أول حب وآخر حب، وكل حب غير مهم مر بينهما. الكلمات كانت سهلة، والنغم أجمل وقعاً. عندما انتهى... اجبره التصفيق والهتاف على الغناء ثانية، وهذه المرة غنى الأغنية التي تعرفها جوانا، فتدفقت الدموع من عينيها وتذكرت كم كانت فتاة بسيطة عندما سمعتها أول مرة.

ولم تعد قادرة على تحمل المزيد... فوقفت من مقعدها وهمَّت بالخروج. كيف يمكن لطوني أن يؤلف مثل هذه الأغاني التي تحطم القلوب، في الوقت الذي يفعل فيه العكس؟ أم أن هذه الاغاني تمثل حقيقته؟ الرجل الذي يمكن أن يكون لو قُدر له الخلاص من سخرية الحياة؟ ذلك الشاب الذي سحر عمتها لا يمكن ان يكون مدعياً

زائفاً.. ولا ذاك الشاب الذي رفض مغازلتها من جديد بعدما حدث معهما في المركب. كان هذا منذ شهر، اربعة اسابيع من اليوم.. وتنهدت.. كيف ستكون ردة فعله لو أعلمته أي فتاة كانت يومها، المؤمنة به، الواثقة منه؟ على الأقل أصبح الآن لديها أمل، أن طوني القديم لا زال موجوداً.

وبينما كانت جوانا تستدير للعودة الى مقعدها لاحظت تقدم فتاة إليها من خارج أحد الابواب، فتحركت جوانا مسرعة لتجنبها لكن صوتها الجاف المرتفع جعلها تقف، خوفاً من الفضيحة. وانتظرت تقدم رونا اندروس منها.

ـ إذن، أقنعاكِ بالاستمرار في التمثيل.. أنت أغبى مما كنت أعتقد.

ـ لست غبية سيدة اندروس. بل فتاة لا تحب أن ترى باحثة عن الثروة تصل إلى ما تريد!

ـ كم انتِ جريئة! أنا أحب طوني.. مع انه جرذ قذر.

ـ لو كنت تحبينه، لما هددت بتدميره. أنت تريدينه لأنه شهير وثري.

ـ أما أنت فلا؟

ـ على الأقل لا أريد تدميره.. وطالما بقيت مخطوبة له، لن تنجحي.

ـ ولا حتى إذا برهنت أنكما مخطوبان لبضعة أسابيع فقط، وليس لبضعة أشهر؟

ـ لن تستطيعي إثبات شيء... سننكره معاً؟

ـ لا أستطيع فهمك.. أيدفع لك طوني أجراً للالتصاق به، أم أنك تفعلين هذا لظنك أنه سيتزوجك؟

شاهدت رونا اللمعان في عيني جوانا فاشتعلت غضباً. وقالت

بعنف:

ـ ليس لديك أي أمل في الاحتفاظ برجل كهذا!

ـ لا تكوني واثقة من نفسك؟

ـ أنا واثقة! يوم واحد برفقتك وسيهرب منك. أتذكرين يوم أخذك الى المركب؟ أحس بالضجر منك، ولم يستطع الانتظار حتى يعود اليّ. قبل ساعة من ذهابه الى المسرح كان في فراشي! اسأليه إذا كنت لا تصدقيني!

كانت صدمة جوانا عظيمة لدرجة أنها لم تستطع الكلام. لكن رونا فهمت أن صمتها هو نوع من التعالي والكبرياء، وأصبحت اكثر غضباً:

ـ أنا لا أكذب ايتها الحمقاء! اسأليه!

لاشعورياً وجدت نفسها تقول:

ـ لا حاجة لسؤاله.. فقد أخبرني هذا في اليوم التالي.

هل هي من قالت هذا، لا.. لا بد أنها فتاة اخرى لتستطيع تلفيق كذبة كهذه. وأكملت:

ـ طوني وأنا لا نخفي عن بعضنا أية أسرار.. لقد أحس بالخجل من ذهابه إليك، واضطر للاعتراف لي.

ـ الخجل؟

ـ لأنه تصرف كالحيوان... تمضية الوقت الذي أمضاه معك تلك الليلة جعله يكتشف الحقيقة... يكتشف أن الرغبة دون حب... لا معنى لها. لذا يجب أن أشكرك على ما حدث.. لا أن أنزعج...

نظرة الذهول على وجه رونا كانت مضحكة، مما ساعد جوانا على استعادة رباطة جأشها، وأكملت:

ـ لا يمكنك الحؤول بيني وبين طوني.. وكلما أسرعت في فهم

هذا وفرت على نفسك الوقت والتعب.

ردت رونا بصوت كفحيح الافعى:

ـ قد لا أتمكن من الخلاص منك... لكنني أقسم أن أجعله يدفع الثمن غالياً لقاء صمتي. فهناك الكثير من المجلات تتمنى ان تنشر قصة علاقتي الغرامية به.

واستدارت رونا لتعود أدراجها تاركة جوانا وحدها، وبحركة لاشعورية عادت الى مقعدها. كان طوني لا يزال يغني، والجمهور يرفض السماح له بالتوقف. اخذت تستمع اليه وكأنها تحلم.. وهي لا تزال في نفس حالة الغيبوبة، توجهت الى خلف المسرح فيما بعد.

ـ جو.. ما بك؟

سمعت صوت طوني وكأنه على بُعد أميال. وحاولت الإجابة لكن صوتها لم يخرج.. مجرد صيحة مخنوقة، ثم غرقت في ظلام تام.

وعندما عادت إلى وعيها، وجدت نفسها في غرفة الملابس مستلقية فوق كرسي طويل وساقاها مرفوعتان على كرسي آخر، وقد جلس طوني الى جانبها يراقبها بقلق:

ـ كيف تشعرين الآن؟

ـ أفضل حالاً.

ـ لماذا كنت منزعجة..؟ لقد جئت إلى هنا وكأنك الشبح. قال ريتشارد إنه شاهد رونا في الصالة، هل تحدثت إليك؟

كانت ستكذب لو حصل هذا منذ أسبوع، لكنها الآن اصبحت مختلفة، رغم أن معرفة المزيد عن خداعه لها لا يزال يؤلمها ولكنها قررت عدم معاناة هذا الألم بصمت، وكرر السؤال:

ـ ماذا قالت لك؟

ـ قالت إنني حمقاء لتمكنك من إقناعي بمتابعة التمثيل... وانك

ذهبت الى فراشها يوم اخذتني الى المركب.

استدار طوني إلى المرآة، لكنه لم يتحمل النظر الى نفسه، فاستدار عنها ليظهر الشحوب في وجهه لدرجة اعتقدت معها جوانا أنه في قمة اكفهرار الوجه، إلا أنه ازداد شحوباً. واصبحت عيناه سوداوان كالفحم.. وقال:

- أردت أخبارك بالأمر.. لكنني توقعت عدم تفهمك!

- أفهم جيداً انك تحتاج الى امرأة مثل رونا.

صرخ صرخة عذاب:

- بل لا تفهمين. كيف يمكن لك أن تفهمي أمراً بدأت لتوي أفهمه! يوم المركب.. كنت... هذا لم يحدث لي من قبل. وكنت... حسناً.. لقد تغلبت علي... ما من فتاة أثرت بي مثلك... ولأكون صادقاً.. كرهت الفكرة، لذا ذهبت الى رونا.. لأبرهن لنفسي أنك لست الفتاة الوحيدة التي يمكنها اثارتي... أعتقد أن اعترافي هذا سيجعلك تكرهيني أكثر. اليس كذلك؟

فكرت جوانا بالسؤال.. صحيح أن ما قاله ادهشها، إلا أنها كلما فكرت بالأمر أكثر كلما قدرت أهمية تبرير دوافعه.. من المؤكد إنه يكره الفتاة التي تجعله ضعيفاً... فهذا أمر أقسم طوني بروكلي أن لا يحصل له.. لكنه ضعف أمامها.. وسعت جاهدة لتخفي سرورها، فعليه أن يكتشف هذا بنفسه، وعندما يصل، اما أن يهرب، كما فعل يوم ذهب الى رونا، وإما أن يواجه الحقيقة، بأنها الفتاة التي أصبحت تعني له شيئاً خاصاً. وردت عليه:

- أنا لا أكرهك.. صحيح أنك لم تعد الشخص الذي ظننته.. لكن...

فقاطعها:

- وأنا لست ذلك الشخص الذي ظننته أنا كذلك! لكن، ربما

ستكوّن لنا هذه الفترة التي سنقضيها هنا فكرة جديدة عن شخصية طوني بروكلي الحقيقية.

- لن أستطيع البقاء معك الى حين عودتك.

- ولمَ لا؟ ستحبين نيويورك.

- ستستمر في التصوير ثلاثة أشهر، ولا أريد لخطيبتنا أن تستمر هذه المدة. قال ريتشارد إنها ستنتهي عندما تصبح في منتصف التصوير.

قال متجهماً:

- أنت متشوقة للتخلص من رؤيتي.. أليس كذلك؟

- ألن تكون مسروراً للتخلص من رؤيتي أنت أيضاً؟ فوجود خطيبة لك يقيّد نشاطك.

ووقفت تقول:

- إلى أي ملهى ليلي تود الذهاب؟

- لن نذهب، طالما صحتك لا تسمح، فمن الأفضل الذهاب الى مكان هادىء.

- لن يُعجب اصدقاؤك بهذا.

- ليس لي أصدقاء... سبق وذكرت لك هذا!

- أذكر... لكنني ظننت قولك ذاك جزء من التمثيلية.

- لم أمثل عليك جو... على الأقل، ليس بعد أول لقاءات لنا. ولا أهتم أصدقت هذا أم لا. تعالي سنذهب الى مطعم بسيط على ضفاف الهدسون. وإن كان لا يزال كما أذكره، فلا أحد يعرفني هناك.

جلسا الى طاولة في زاوية المطعم بعيداً عن الحضور، وتقدمت «ماما بلانكا» صاحبة المطعم المكسيكي بنفسها لتسأل عن طلباتهما... فقال طوني بعد ان عرضت ما لديهم:

ـ أنا بين يديك «ماما»!

ـ من الأفضل لك أن تكون بين يدي حبيبتك الجميلة!

ـ إنها خطيبتي.

نظرت «ماما بلانكا» إلى اصبع جوانا الخالي من الخاتم. فأجفل طوني!

ـ عقدنا خطبتنا بسرعة.

ـ الشبان دائماً على عجلة من أمرهم، لكن لا تنسى أن تضع لائحة «ممنوع اللمس» على فتاتك.

وتابعا الحديث طوال وجبة الطعام حول فيلمه القادم لكن جوانا أحست أن تفكيره كان في مكان آخر... لكنه لم يبرهن لها عن صحة ظنها إلا أثناء عودتهما الى الفندق:

ـ أرى هذه الأمسية كأول لقاء محترم بيننا جو. أنت تعرفين أنني رجل فوضوي، ولا حاجة لأن أدعي العكس... فقد أجبرت نفسي الليلة على عدم التكلم عن أي شيء حدث بيننا. ولم أكن سيئاً... أليس كذلك؟

ـ بل كنت رائعاً، فقد تكلمت عن صناعة الافلام وكأنك منتج لها!

كانا لا يزالان يبتسمان عندما دخلا الفندق، وأعطيت جوانا بضع أوراق عن مكالمات هاتفية... وتساءلت من يكون المتصل يا ترى؟ واخذ طوني الاوراق من يدها، قائلاً:

ـ إذا كان ريتشارد قد اختلق قصة جديدة عنا.. سأقتله.

ما ان اطلع على الرسائل حتى اختفت الابتسامة عن وجهه، سحبها بسرعة من الجمع:

ـ إنها من السيدة مارك... كانت تحاول الاتصال بك طيلة السهرة.. تعرض والدك لحادث، وهي تفضل عودتك في الحال.

فترنحت جوانا:

ـ أبي؟ ما نوع الحادث؟ يجب أن أتصل!

أمسك طوني بذراعها ورافقها الى المصعد:

ـ الأفضل ان تتصلي من غرفتي.

خلال دقائق كان يتحدث الى السيدة مارك، يومىء برأسه لجوانا لتتقدم وتأخذ السماعة. لكنه سرعان ما قطع الخط مع مدبرة المنزل بعد ان سجّل رقماً على ورقة وقال:

ـ أخذت رقم المستشفى واسم الطبيب المسؤول.. وسيطلعني على حقيقة الأمر ان تكلمت معه شخصياً.

ـ ما مدى.. إصابته؟

ـ حادث سيارة... سأعلم المزيد عندما... آلو؟ هل هذه مستشفى فيكتوريا؟ طوني بروكلي يتكلم أودّ ان أسأل عن حال «حماي» برنارد لايتون.

استمعت جوانا إليه منذهلة.. ذكاء منه أن يدعي أنهما متزوجان! فالصهر أقرب من الخطيب... حتى ولو كان الخطيب شهيراً. كان الصوت الذي تلقّاه ضعيفاً فلم تتمكن من فهم شيء إلا بعد انتهاء المخابرة حيث شرح لها طوني:

ـ كسر في الضلوع، ارتجاج في المخ... وإصابات داخلية. لن يعرفوا مدى خطورة الاصابة إلا بعد إدخاله غرفة العمليات.

ـ يجب ان أسافر اليه فوراً.

ـ سأتدبر الأمر.. ابقي هادئة.

ـ كيف أهدأ وأبي يموت؟

بعد قليل أجرى مكالمة هاتفية سريعة والتفت إليها بعد أن وضع السماعة من يده:

ـ تدبرت كل شيء... وكنا محظوظين.

ـ محظوظين؟

ـ لقد حجزت مقعدين لنا في طائرة الصباح الباكر.

ـ مقعدين؟

ـ أنا قادم معك.

ـ لكن.. التسجيل.. لا يمكنك السفر وسط... السيد مايسون سوف...

ـ فليتدبر أمره... فلست آبه له. أنا ذاهب معك وهذا قرار نهائي.

وصلا صباح اليوم التالي الى مطار اوتاوا، ثم استقلا سيارة اجرة أوصلتهما مباشرة الى المستشفى.. كانت سعيدة جداً لمساندة طوني الصامتة لها. دخلا الى قاعة الاستقبال المغطاة بالسجاد المطاطي، حيث قابلهما طبيب شاب أعلمهما بأن والدها خضع لعملية جراحية منذ ساعات وأن حالته مرضية. وقال شارحاً:

ـ كان لديه نزيف داخلي... لكننا تمكنا من إيقافه.

ـ هل لي أن أرى والدي؟

ـ بكل تأكيد، مع أنه فاقد الوعي الآن.

حين نظرت الى وجه أبيها الصامت الرمادي، أحست بالخوف... وسأل طوني الطبيب:

ـ أتعرف كيف حصل الحادث؟

ـ حسب تقرير البوليس، كان يقود سيارته على الطريق الرئيسية عندما فاجأه سائق يتعلم القيادة حديثاً من منعطف دون توقف.

فقالت جوانا بمرارة:

ـ أراهن أنه لم يصب بأذى.

ـ وكيف عرفت... هذه حال الدنيا.. بإمكانك البقاء هنا إذا رغبت، لكنه لن يستعيد وعيه اليوم. إنه تحت تأثير المخدر.

ـ لكن إذا ساءت حالته.. سوف...

ـ سنتصل حالما يطرأ أي تغيير في حالته.

وتدخل طوني:

ـ سآخذك الى المنزل جو.. يبدو كأنك ستصابين بانهيار.

ـ أشعر بهذا فعلاً!

لحقت به الى سيارة الأجرة المنتظرة:

ـ هل ستعود الى المدينة؟

ـ لا سأبقى في فندق القرية المحلي.

ـ بإمكانك البقاء معي في البيت.

ـ وأعطي القرية فرصة للشائعات؟

أدهشتها دقة تفكيره فقالت:

ـ لا أهتم للشائعات.

ـ لكنها تهمني. ولأجلك، لا من أجلي... إنما سنتناول العشاء سوياً.

كانت الساعة قد بلغت السادسة عندما دخلا المنزل، حيث كانت السيدة مارك متشوقة لمعرفة الأخبار. وعلمت أنهما لن يعودا الى المستشفى تلك الليلة، فعرضت ان تحضّر لهما العشاء، فقال طوني:

ـ الافضل لجوانا أن تخرج، فإذا بقينا في المنزل ستمتزج دموعها مع الحساء!

فصرخت جوانا:

ـ كيف يمكنك المزاح؟ أليس لديك إحساس، أم أنك لا تشعر بما أحس به؟!

وسرعان ما تذكرت تخليه عن كل شيء من أجل مرافقتها، فندمت على ما قالته:

ـ آسفة طوني! هذا أسخف شيء قلته في حياتي.

ـ سأسامحك فقط عندما تجلسين أمامي في فندق القرية وفي قاعة الطعام... هيا اسرعي لتبديل ملابسك.

توجها ببطء الى الفندق الصغير.. المقهى كان مليئاً، لكن قاعة الطعام كانت فارغة. واختارا طاولة في الزواوية. تقدمت السيدة فالون لتلبية طلباتهما، فوقفت قليلاً لتبدي أسفها لما حصل لوالد جوانا وتعرض المساعدة الممكنة في هذه المصيبة... ثم ذهبت الى المطبخ.

تحدثا خلال الطعام بأشياء غير شخصية.. وعندما أصبحت الساعة الحادية عشرة عادا الى المنزل، فدخلاه وسط ظلام تام ولما علم أنها ستنام فيه وحدها. قال:

ـ ظننت السيدة مارك تسكن هنا.

ـ تملك منزلاً في الجهة الأخرى من القرية.

ـ لا يمكنك البقاء هنا وحدك!

ـ ولمَ لا..؟ لست طفلة.

ـ أنت طفلة بالنسبة لي... لم أقلق على احد من قبل.

ـ لا حاجة لأن تقلق عليّ. أستطيع الاعتناء بنفسي. أرجوك أن تذهب طوني.

ـ ليس قبل أن أراك بأمان في فراشك.

ـ ولكن...

ـ دون جدال جو. سأنتظر إلى أن تدخلي غرفتك ثم أذهب.

صعدت إلى غرفتها على مضض، خلعت ملابسها، واستلقت في السرير.. سادت السكينة والهدوء الطابق السفلي، ولم تكن تدري ما اذا كان طوني قد ذهب أم لا... فنادته.

وعلى الفور أصبح في غرفتها، فخفق قلبها بسرعة، واستلقت على الوسادة ثم لفّت كتفيها بالغطاء فانتصب أمامها حاملاً كوباً من

الحليب:

ـ سيساعدك هذا الكوب على النوم.

فتناولته بمنتهى الطاعة إلا أنها تحيرت حيال ما يبدي لها من عطف بينما هو في الواقع رجل قاسي القلب وعديم الضمير، هذه هي الصفات المناسبة لرجل يخطب فتاة من أجل حماية نفسه ومصالحه. كيف يمكن لي أن احب شخصاً أكرهه؟ وضعت الكوب من يدها وهي ترتجف:

ـ يمكنك الذهاب الآن طوني.

ـ هل أفتح لك النافذة؟

فأومأت برأسها ليفعل... وسرعان ما دخل الهواء البارد، ثم وقف قرب السرير يتأملها:

ـ هل أنت واثقة من عدم تعرضك لبرودة الهواء؟

ـ طبعاً..

ـ ما يحيرني، لمَ لا ترتدي النساء ثياب نوم محتشمة.. هذا الحرير الذي تلبسينه لا يدفىء قطة!

ـ لست قطة.

ـ اعلم... لا يوجد فيك ما يشبه القطط. لا تقلقي على أبيك. أنا مقتنع بأنه سيصبح على ما يرام.

ـ شكراً لك... لم أكن أتوقع منك...

وصمتت لكنه امسك يدها وأكمل عنها:

ـ لم تتوقعي مني أن اكون لطيفاً معك. حسناً.. أنا نفسي لم أتوقع هذا!

وقبل أن ترد كان قد جلس على السرير، وأكمل:

ـ لم أرغب يوماً في إظهار اللطف لأحد. كان همي الوحيد حماية نفسي فقط.

ـ لكنك ستلاقي فرقاً كبيراً لو حاولت نسيان الماضي وتغيير المستقبل.

ـ المستقبل؟ عندما أكون قربك لا أفكر سوى بالحاضر. حاضر سعيد دافيء.

ـ تبدو وكأنك رومانسي قديم الطراز.

كان رده عليها بحركة سريعة للإمساك بيديها الناعمتين اللتين أجلسها من متكئها بواسطتهما حتى اتخذت حالة جلوس على السرير وأصبحت عيناها بمحاذاة كتفيه وما إن التقت نظراتها المليئة بالشوق الذي طالما خبئته، بنظراته حتى تمتم باسمها، وسرعان ما ضمها إليه ليعانقها ولكنها لم تقاومه هذه المرة، فهي بحاجة شديدة إليه ولا سيما في هذه اللحظات، وإن كانت تبدي عكس ذلك.

ـ طوني... حبيبي!

فجأة سحب نفسه منها ووقف، بشرته تلمع وعيناه جاحظتان، وقال بعصبية:

ـ أنا... يجب أن أذهب. سأ.. سأراك في الصباح.

وبعد أن أقفل الباب وراءه، دفنت جوانا رأسها في الوسادة وبللتها بدموعها.

تأخرت السيدة مارك بالحضور صباح اليوم التالي، فارتدت جوانا ملابسها واتصلت بالمستشفى.. وبعد دقائق وصلت المدبرة وعلى الفور سارعت الى تحضير فطور شهي أعقبته بالقهوة. استعدت جوانا للخروج الى المستشفى في وقت مبكر، ولم تكن قد تلقت أية مكالمة من طوني، كما أنها لم تحبّذ الاتصال به بعد حادثة الليلة الماضية. وأثناء توجهها نحو الباب رن الجرس ففتحته لتفاجأ بطوني يقف فيه.

احمرّ وجهها فابتسم مازحاً:

ـ أتحاولين تجنبي؟ لا تظني أنك قادرة على هذا!

ـ أبداً.. حاولت الذهاب الى المستشفى باكراً، لم أشأ إزعاجك لأنك تتأخر في النوم.

ـ جئت لأبقى معك خلال مرض والدك، ولن أتركك تهربين مني الآن!

ـ أنت...

ـ لا تقولي بأنني لطيف، فأنا أتولى العناية بك.. فلندع الامور هكذا، في الوقت الحاضر.

ـ لقد اتصلت بالمستشفى.

ـ وأنا كذلك.

كان هذا آخر حديث بينهما حيث استمر صمتهما لغاية وصولهما المستشفى.

قصدا الطابق الثالث، ولدى دخولهما الغرفة تمكن السيد لايتون من التبسم بالرغم من ضعفه، فتقدمت جوانا نحوه وركعت إلى جانبه، ولم تستطع التفوه بكلمة، فقد انتابتها حالة انفعال شديدة. فهمس أبوها:

ـ آسف لإفسادي اجازتكما.. كان من الخطأ اتصال السيدة مارك بكما.

ـ أرجوك أبي.. لا تقل هذا.. أنا سعيدة برجوعي، لقد مللت اميركا.

ـ لا أصدقك.. لطالما تشوقت لتكوني مع طوني...

وفي ذلك الحين انتبه لوجود الرجل الاسود الشعر فسأل مندهشاً:

ـ طوني؟

ـ بنفسه سيدي، عدت مع جوانا.

بدا الارتياح على وجه السيد لايتون، وكأنما اطمأن لوجود طوني:

ـ أسعدني قدومك.. كنت... قلقاً. أتعلم؟ لم أكن واثقاً من أنكما متفقان.

فضغطت جوانا على يده:

ـ أبي! أنت حقاً تهذي... لمَ القلق بشأننا حبيبي؟ نحن سعداء معاً، وسنسعد أكثر عندما تتعافى.

دخلت ممرضة تجر عربة الأدوية والضمادات، فودعاه على الفور، واعدين بالعودة فيما بعد... ارتاحت جوانا من التوتر لدى معرفتها بتماثل والدها للشفاء القريب، لكنها أحست بتعب وكأنها انتهت لتوها من عمل يوم شاق.

عادا الى المنزل ثانية، وبعد أن جلسا ليرتاحا التفت إليها طوني وسألها:

ـ هل ستعودين معي الى نيويورك قبل أن يشفى والدك تماماً؟

كانت على وشك أن ترد عندما دخلت السيدة مارك لتسأل إن كانا يريدان قهوة، فطلب منها طوني ان تحضر معها البسكويت وتأخرها عشر دقائق ريثما يذهب الى الفندق ويجلب من حقيبته رقم هاتف شركة مايسون ريكوردز:

ـ أفضّل الإتصال به شخصياً والاعتذار له.

ـ إنها فكرة رائعة.

فور خروجه تلقت اتصالاً هاتفياً، وقد كان من ريتشارد:

ـ أهذه انت جوانا؟ كيف حال والدك؟

وبكل سعادة أخبرته عن وضع والدها، وما لبثت ان تذكرت سعي طوني للاتصال به وإعلامه بالعودة، لكنه ذهب الى الفندق لإحضار رقم شركة مايسون ليتصل بهم ويعتذر بنفسه. فرد ريتشارد:

ـ لا داعي لقلقه على شيء.. لقد اكتسب دعاية رائعة بعودته معك.. صحيح أن مايسون أثير جنونه بادىء الأمر، لكن عندما قرأ

عناوين الصحف هدأ، فهو لن يستطيع تقديم مثل هذه الدعاية لطوني ولو دفع نصف مليون دولار.

ارتجفت السماعة بيد جوانا... إذن هذا هو سبب إصرار طوني على المجيء معها! «نجم غناء شهير يستغني عن عقده ليكون مع الفتاة التي يحبها» تمكنت من تصور هذه العناوين وكأنها نصب عينيها.

وسمعت ريتشارد يكمل:

ـ قولي له لا حاجة للاتصال بمايسون.. فهو متحمس له كثيراً وينوي تسجيل البوم جديد له. وفي أسرع وقت.. يتضمن اغنيات الحب التي غناها في الحفلة، وسيحمل غلاف الاسطوانة لقطات لك وله... يبدو هذا رائعاً... أليس كذلك؟

ـ لن أعود معه ريتشارد.

ـ لماذا؟ طالما أن والدك بخير فلا سبب يمنعك من العودة معه.

ـ ليس من سبب يدعوني للعودة. لقد حصلت على كل الدعاية التي تحتاجها من حادثة أبي!

دون انتظار الرد أقفلت الهاتف.. وبللّت دموع الغضب وجهها. الغضب العارم... لكن ليس من طوني.. كان صادقاً في تصرفه معها، ولا يمكنها لومه.. فهي غاضبة من نفسها... كيف توهمت أن دافعه كان الحب...؟ كيف صدقت أن بضعة أسابيع قضتها معه كانت كافية لمساعدتها على ترسيخ أسس حقيقية لعلاقتهما.

رفعت رأسها فأجفلت لرؤيته أمامها.. لا بد أنه عاد منذ وقت ولم تنتبه لذلك. كان يقف عند الباب يراقبها بنظرات حنونة وتعابير رقيقة في وجهه. لكن عندما رأى نظراتها الحادَّة تقدم نحوها.

ـ اتصل ريتشارد أثناء غيابك. أبلغته بأننا عائدان، وهو يقول لك لا تقلق، ولا تزعج نفسك بالاتصال بالسيد مايسون.

ـ أتعنين بأنه لا يريد التحدث معي؟

ـ أعني أن بإمكانك التوقف عن التمثيل طوني.. لقد انتهى الأمر... انتهى.. لقد عرفت سبب مجيئك معي.. فلا حاجة للادعاء.

ـ ادعاء ماذا؟

ـ ادعاء القلق علي وعلى والدي! لقد عدت معي من أجل كسب الدعاية لنفسك.. ونجحت.. حتى أن مايسون يريد تسجيل اليوم جديد لك أساسه رحلتك الشفوقة! أنت لست سوى مخلوق أناني تتحرك على أساس الغرور بنفسه فلا تقدّم مساعدة لأحد ما لم يكن فيها مصلحة لك، لم تملك يوماً في حياتك عاطفة حقيقية، ولا أندهش كون عمتك وزوجها لم يحباك.. فقد كان اسهل عليهما لو أحبا «إنساناً آلياً».

وصرخ بصوت لم تسمع أعلى منه:

ـ اسكتي! لا تتجرأي على مواجهتي بماضيّ. انت لا تعرفين شيئاً عن الحياة التي عشتها... لا شيء.

فصاحت راعدة:

ـ أعرف أنك لا شيء! أنت مجرد صورة ابتدعها مديرك... جهاز آلي صنعه بالمال والأكاذيب.. أنت زائف طوني بروكلي.. ولا أريد رؤيتك ثانية.

لمعت شرارات عينيه السوداوين فيها، تحدقان بها وكأنهما شعاع اللايزر. لكن كأن مرارة نفسها شكلت سداً منيعاً ضدهما، فبادلته النظرة نفسها وبذات القوة. ثم قال بهدوء مذهل في نبرة صوته.

ـ سأسافر اليوم الى نيويورك، وارجو أن يكون قد خرج والدك من المستشفى يوم أعود. بلغيه تحياتي وأمنياتي له بالصحة!

لم تكن قادرة على تحمل النظر إليه، فأدارت وجهها عنه الى

الحائط. سمعت وقع خطواته الهادئة تبعده رويداً.. رويداً عبر البهو... وتناهى الى سمعها صوت إقفال الباب.. وأخيراً أصبحت وحدها.. قد حان الوقت... فأنفجرت بالبكاء.

* * *

٧ ـ لمن يغني الحب؟

سُمح للسيد لايتون بمغادرة المستشفى قبل عيد الميلاد بأسبوع، وبدا لجوانا كأن الحادثة شيئاً لم يكن عندما رأت والدها يرتاح في مقعده المعتاد بالرغم من أنه أكثر شحوباً ونحولاً من ذي قبل، إلا أنه ظهر مرتاحاً راضياً، ولم يُخفِ شوقه لاستئناف عمله في المصرف والعودة الى حياته العادية.

لم تكن راغبة في إعلام والدها بانتهاء خطبتها لطوني خشية وضعه اللوم على نفسه وقوله: «لولا أنك اضطررت للعودة...» هل يمكنها حقاً أن تضغط على نفسها وتقول الحقيقة له؟ فهو قد أحب طوني خلال مكوثه معه في المستشفى.. كما أنها لم تكن قادرة على تحمل الاعتراف بأنها كانت مخطوبة لرجل ذو قدمين من فخار! قدميه؟ لا بل كله من فخار!

لم تتلقى منه شيئاً منذ فراقهما... لكن اتصل ريتشارد بها بعد أيام ليقول:

ـ آسف لانتهاء ما بينكما. في حين ظننت أنكما اتفقتما.

فقالت بسخرية لم تلقَ اهتماماً من الرجل:

ـ حقاً؟

ـ أجل.. حقاً... كنت طيبة معه جو. كنت حقيقية وسط عالمٍ كله زيف.

ـ ما الذي تريده مني؟ هل اتصلت من أجل الثناء علي؟ قل ما تريد ريتشارد، أو سأقفل الخط.

ساد صمت رهيب للحظات ثم قال:

ـ أعرف أنك تشعرين بالمرارة لكل ما حصل.. وأفهم هذا جو... وأتمنى...

ـ اختصر كلامك ريتشارد. واترك الخرافات. لمَ اتصلت بي؟

ـ لأطلب منك الاستمرار في الخطبة.. على الأقل الى حين إبعاد رونا من طريقه. لقد بدأت القيام بخطوات قانونية لا تعجبني.. وحصلت على محام قدير... لا يعجبني هو الآخر إطلاقاً.

ـ أتريد المال؟

ـ بأية طريقة! ولو علمت أنكما انفصلتما فستبرهن أن خطبتكما كانت زائفة في الأصل ولمجرد التخلص منها.

ـ لكن هذا صحيح.

ـ ليكن لديك قلب مشفق جو. قد لا تحبين طوني، لكنك لا شك تكرهين رونا، فهي ليست سوى «بالوعة» مال! فماذا تقولين؟

ـ لن أنكر خطبتنا... و... إذا لزم الأمر، سأقف لالتقاط الصور معه عندما يعود.. إلا إذا تخلص منها قبل ذلك الوقت.

ـ ألن تفكري بالمجيء ولو لقضاء إجازة نهاية أسبوع، أو حتى يوم واحد؟

ـ لا.

واقفلت الخط.. ومنذ ذلك اليوم لم تسمع كلمة من ريتشارد، إلا أنها ظلت تتابع أخبار طوني عبر الصحف.

قال لها أبوها:

ـ إذا كنت تعتقدين أن طوني لن يأتي في الميلاد، فلمَ لا تذهبين إليه؟

- لا أنوي تركك، فأنا سعيدة لمشاركتك الميلاد في البيت، ولأجلك سأرفض أية دعوة من أي كان!

توقعت أن هذه المناسبة ستكون فرصة له لملاحظة الأمر، حيث لن يرسل طوني أية هدية لها أو حتى بطاقة معايدة.

لكنها أخطأت في افتراضها هذا، ففي أمسية الميلاد وصل الى والدها طرد كبير يحتوي على: علب «باتيه» كبد الاوز، كافيار، سلمون مدخن، وكاتو مبرد مع اربعة زجاجات من عصير المانجو، الاناناس، الكرز والفريز، وعلبة ضخمة من سيكار هافانا.. أما لها فعلبة صغيرة من الجلد الأسود تحتوي على: خاتم.

حدقت جوانا بالحجر الناري وقد انشدهت لجماله، فهي لم تشاهد من قبل مثل هذا الحجر الكريم. كل زاوية من زواياه تكشف عن لون مختلف، ومن خلال كل ألوانه يمكن رؤية القلب الناري للحجر، مرفق ببطاقة عرفت أنها بخط يد طوني، دُهشت لها بقدر ما أدهشتها الهدية «أرسل للحلوة هدية لتزداد حلاوة. هذا الحجر الناري يذكرني بك. منظره جميل، لكن معناه أجمل» وسألها أبوها:

- هل هو خاتم الخطبة؟

- لم يقل.

- البسيه كخاتم خطبة إذن.

- ولماذا؟ كل هذه الامور لا تعجبني، ولا تعجبه.. سبق وقلت لك هذا.

- يصعب عليَّ التصديق بأن من يكتب كل هذه الأغاني العاطفية، ليس رومانسياً؟

في وقت متأخر من تلك الليلة، كانت تضع اللمسات الأخيرة على شجرة الميلاد، عندما اتصل طوني من نيويورك، ولسوء حظها كان والدها في الغرفة، فاضطرت الى التظاهر بالسعادة خلال حديثها

معه، لكنه عرف بسرعة انها ليست لوحدها:

- أتساءل لماذا أنت لطيفة هكذا.. هل الوالد معكِ؟

- أجل.

- ولو لم يكن موجوداً لرفضتِ الكلام معي.. صحيح؟

- صحيح... حبيبي.

- اذن سأخلصك من محنتك وأقفل الخط!

- انتظر... متى ستأتي؟

- متشوقة لرؤيتي أم للخلاص مني؟

- الأخيرة لا شك، ولن أستطيع الانتظار حبيبي طوني!

- هذا ما ظننته.. أنت فتاة قاسية جوانا... عندما تقررين أمراً لا يمكن لأحد تغييره.

- الناس لا تتغير حبيبي.. بل تدّعي التغيير.

- ميلاد سعيد جو... وبلغي أفضل تمنياتي لوالدك.

وسارع والدها لمغادرة الغرفة، فتغيرت لهجتها:

- أتقوم بتسجيل هذه المخابرة لاستخدامها كدعاية لك؟

سمعت انفجاراً لكلمات نابية مخنوقة من الطرف الآخر.

- احمدي الله أنني لست قربك جو.. وإلا لـ...

- عطلة سعيدة حبيبي.

واقفلت الخط.

علمت في الاسبوع الذي يفصل بين الميلاد ونهاية السنة، أن طوني أنهى تصوير فيلمه وسيعود عمَّا قريب، مع أن المقال يوحي بأن المغني يفكر باتخاذ اميركا موطناً له.

مر شهر كانون الثاني مثلجاً شديد الرياح والبرودة خلال الثلاثين يوماً، وكان شباط في منتصفه عندما سمعت صوت طوني مجدداً، يعلمها فوراً بعودته.

ـ لقد عدت هذا الصباح، كيف حالك وحال والدك؟ هل ما زال في دور النقاهة؟

ـ لقد استأنف عمله منذ اسبوعين.

ـ إذن أنت حرة؟ عظيم.. يريد ريتشارد أن يلتقط لنا مجموعة صور جديدة.. تعرفين ما أعنيه.

ـ أستطيع التصور.

ـ هل أرسل لك سيارة أم أرسل أحداً يلقاك في محطة القطار؟

ـ لا هذا ولا ذاك، فلن أذهب الى أي مكان. وإن أردت أخذ بعض الصور معي، فعليك أن تأتي الى هنا.. فمسألة كونك خطيب حبيب يمكنك تطبيقها بسهولة!

دون اعطاءه فرصة الرد، أقفلت الخط. سيطر الغضب عليها طوال فترة الصباح وحتى عودة والدها للغداء، وما أن انتهيا من الطعام حتى أجفلتها اصوات إطارات تتوقف في الخارج.. أسرعت إلى النافذة لتشاهد أمامها سيارة البورش الحمراء اللماعة.. إنها سيارة طوني..! بسرعة فتحت الباب لتجد طوني يمد أصبعه الى الجرس، وتراجع محدقاً بها:

ـ فتاتي الحبيبة!

ودون إعطائها فرصة للتراجع ضمها بين ذراعيه، وشدها الى جسده، فتجاوبت معه رغم ارادتها وبسرعة لفّت ذراعيها حول عنقه مرتجفة الأطراف، تعلو الحمرة وجهها، ثم أجفلتها الانوار الخاطفة وذهلت عندما أحست بوجود رجال الصحافة والمصورين.

بوجه يلتهب بالاحمرار، حاولت دفع طوني عنها. لكنه أمسكها بقوة وقال هامساً كي لا يسمعه أحد:

ـ اهدأي جوانا. هذا جزء من التمثيلية التي وافقت عليها.

ـ لن أتابعها إلا إذا تركتني. وإن لم تفعل سأصفعك على

وجهك.

على الفور أسقط يديه الى جانبيه، وبقيت الابتسامة تعلو وجهه دون أن يصل مداها الى عينيه اللتين بقيتا باردتين قاسيتين.

وتشدق يقول:

ـ تبدين رائعة، من اليوم وصاعداً لن أدع العمل يفرق بيننا.

صاح ريتشارد:

ـ ما رأيكما بعناق آخر؟ فلم يحصل بعض المصورين في الخلف على صور ملائمة!

فاحتجت جوانا:

ـ لا أحب العناق علناً.

فأمسك طوني بذراعها:

ـ وأنا أيضاً... فلندخل، أود رؤية ابيك.

تدخل ريتشارد، متآمراً كعادته:

ـ فكرة رائعة، فأنا واثق أن الشباب يحبّذون التقاط صورة لثلاثتكم وتسجيل معجزة نجاة والدك من الحادثة جوانا، وهذا السبب هو الذي دفع طوني للمجيء معك يومها.. أليس كذلك؟

واستدار إلى الصحافيين:

ـ أتذكرون ذلك، يا شباب؟

أحست جوانا بالغثيان لتصرف ريتشارد، فصاحت ببرود:

ـ لا أريد المزيد من الصور.

غادرت الابتسامة وجه ريتشارد، لكن صوته بقي ناعماً كالعادة. التفت الى الصحافيين:

ـ أسمعتم السيدة.. لا تريد إزعاج والدها بالصور، ولا ألومها.

علا صوت رجل نحيل من بين الجمع:

ـ لم نقطع كل هذه المسافة من أجل صورة واحدة فقط. ليكن

قلبك رؤوفاً ريتشارد! فنحن نحتاج الى قصة أيضاً.

- وأين تريدون أن يقف عصفوري الحب؟ هنالك أرجوحة في الحديقة اعتاد طوني أن يدفع جوانا فيها أثناء تغازلهما.

فقال رجل أحمر الوجه:

- أود رؤيتها.

وانفجر الجميع بالضحك، واتجهوا الى حديقة المنزل.

كانت تلك الساعة أتعس الاوقات بالنسبة لجوانا.. فلم يكن ريتشارد ليمل أو يتعب ممَّا زاد من كرهها لهذا الرجل، لكنها لم تستطع إلا أن تعجب بالطريقة التي يتعامل فيها مع الاسئلة الموجهة اليها، وتحول الرجال الى مواضيع أخرى تعطي قيمة كبرى لطوني. وأخيراً، انتهى المشهد التمثيلي الذي أظهر المدير المتورد الوجه راضياً، وكان لا يزال منهمكاً بالحديث عندما رافق الجميع الى سيارته، تاركاً جوانا وطوني وحدهما.

التفتت جوانا اليه، وابتلعت ريقها لوسامته التي بدت أكثر من قبل. وتساءلت في نفسها: هل سيأتي الوقت الذي تراه فيه دون أن تتمنى رمي نفسها بين ذراعيه... وقالت ببرودة:

- والآن، بعد ذهاب ريتشارد.. لم يعد من حاجة لبقائك هنا.

فرد ساخراً:

- نظراً للمسافة التي قطعتها لرؤيتك، أقل ما يمكنكِ فعله هو دعوتي لتناول شرابٍ ما.

فردت ببرودة:

- لم تقطع هذه المسافة الا للحصول على دعاية لك، فأنت لا تريد أن ترى سوى نفسك، ولو بقيت في ذاكرتي حتى الميلاد التالي، سأرسل لك مرآة، لترى فيها صورة الشخص الوحيد الذي تحبه.

فاسودت عيناه من الغضب وقال هاتفاً:

- ليتنا كنا لوحدنا الآن.. لأرغمتك على ابتلاع هذه الكلمات!

- وما الذي يمنعك؟ لا يرانا أحد هنا.

- والدك يراقبنا من النافذة، ومن الأفضل أن ندخل معاً.. أم أنه يعرف الحقيقة؟

- لا.. إنه لا يعرفها. لم أقل له لأنه... لأنه معجبٌ بك، ولا أعلم السبب في ذلك، لكن عندما ننهي هذه الخطبة المهزلة سأوهمه بأننا لم نتفق.

- شكراً لتحذيري، ويسعدني أن احد افراد عائلتك موافق عليّ.

فأدارت جوانا ظهرها ودخلت المنزل.

فيما بقي من اليوم، أخذ طوني يمارس سحره على السيد لايتون، فأقنعه بعدم العودة الى العمل في فترة ما بعد الظهر، ثم أمتعه بقصص حصلت معه في نيويورك. ولدى مراقبتها لتعابير الفرحة على وجه أبيها، تمنّت لو تخنق طوني بيديها، وهذا غاية السعادة لها.. وعندما قدمت العشاء ذلك المساء، احست بدافع مجنون لسكب محتويات وعاء الحساء فوق رأسه. ولم تستطع إلا ان تصطنع ابتسامة، جعلت طوني ينحني إلى الأمام ليمسك يدها، وتكلم:

- أنت جميلة جداً حبيبتي! لديك ابنة رائعة.. سيدي!

فرد السيد لايتون سعيداً:

- الأخلاق أكثر أهمية من الجمال، وجوانا خلوقة جداً.

- أوافق معك، أخلاق وجمال، وشخصية، فلا عجب أن أحبها.

انحنى عبر الطاولة وقبّل خدها. فاحمر وجهها وضحك والدها قائلاً:

- لا تشعري بالحرج. من السعادة لي أن أرى طوني يظهر حبه لك.. أنت متزمتة جداً، يا عزيزتي.

لم يتحرك طوني للذهاب قبل العاشرة مساء، وعندما طلب منه

والدها ان ينام الليلة عندهما، حبست أنفاسها.. ماذا لو قبل.. ستخرج عندها هي من المنزل. لكن، تنهدت بارتياح لما هزّ طوني رأسه، شارحاً أنه مضطر لحضور مؤتمر صحفي باكراً. فقال السيد لايتون:

ـ أظنك تريد أن تكون جوانا معك.

ـ من كل قلبي.. لكنني أثق أنها لا تريد هذا، فهي تكره صخب العمل المسرحي.

ـ إذن، لم يفترض بها الوقوع في حب نجم من أكبر نجوم الفن.

رافقت جوانا طوني نحو السيارة بصمت، وهي تفكر بكلام أبيها. ولم تستطع كبح غضبها بعد أن أصبحا وحدهما:

ـ لا أمانع في تأدية التمثيل أمام الآخرين، لكن لم يكن ضرورياً أن تفعل هذا الليلة... المشكلة أنك تريد للدنيا كلها أن تحبك.

ـ أليس هذا أفضل من كراهيتهم لي؟ مع أنني كرهت من البداية الطريقة التي استعملتها لجذبك إليّ.. لكنني سأكون كارهاً أكثر إن توسلت اليكِ لتبقي في حياتي.

ـ أهذا توسل للغفران؟

هز كتفيه، وجلس وراء المقود، ولوّح لها بيده ثم انطلق.

بعد أربعة أيام، اتصل طوني ليقول إن محاميه توصل لتسوية مالية مع رونا. أول ما فكرت فيه هو أنها أصبحت حرة من الالتزام معه، ومع أنها أرادت هذا، فقد دفعها الخبر للإحساس بالحرمان، فسيختفي الآن من حياتها، وسينساها كما نسي كل اللواتي مررن في حياته.

ـ أنا مسرورة جداً للخبر، فهو يعني إنهاء خطبتنا... لكن لا تعلن هذا للصحافة قبل أن أخبر والدي.

ابتسمت جوانا بصعوبة.. وتمنت لو لم تطلب منه تأخير إنهاء

علاقتهما لبضعة أيام... فمع مرور كل يوم يصبح ادعاؤها أكثر ثقلاً.

بعد ظهر الجمعة، فوجئت بزيارة باتريسيا لها، تخبرها أن بول خطبها، فعانقتها جوانا بسعادة:

ـ إنه صاحب ذوق رائع. متى ستتزوجان؟

ـ لست واثقة... لم نحدد الموعد بعد.. لكن لا سبب لانتظارنا. أظن ان بول سيطلب من طوني أن يكون اشبينه!

ـ سأخبره بهذا...

لحقت باتريسيا بجوانا الى المطبخ فوجدت عدة صواني على الطاولة فسألت:

ـ هل تنتظرين ضيوفاً؟

ـ لا... بل أساعد السيدة ماذرز، لأن صانع الحلوى عندها في الفندق أصيب بالتواء في معصمه، فعرضت عليها المساعدة.

ـ أرجو أن لا تكوني مشغولة بمساعدتها غداً. بول وأنا نرغب بمرافقتك لنا لحضور حفلة سباق الخيل.

فكرت جوانا بسرعة، فهي لا تهوى السباق، لأنها تجد الانتظار بين شوط وآخر أمر مزعج.. ولكنها ترددت في الرفض لكي لا يعتقد بول أنها تضايقت لخطبته فتاة أخرى. فقالت:

ـ سأكون سعيدة بمرافقتكما.. لكن لا تهتما بمراهناتي، لأنني أسوأ مراهنة في العالم!

ذكرتها باتريسيا بهذا بعد اربع وعشرين ساعة عندما فاز أول جواد راهنت عليه جوانا، ودفع عشرين ضعفاً.

ـ إذا كنت أسوأ مراهنة على الجياد، فمن هو الأفضل إذن يا عزيزتي؟

ـ إنها الصدفة.. فهو أول ربح لي.

لكن عندما فاز الجواد التالي.. لم يقتنع بول وباتريسيا بأنها لا

تملك أية معلومات عن السباق وضحك بول:

ـ إما الأمر هكذا أو أن حظك قد تغيّر. لكن سيدفع لك مكتب المراهنة على الفور ليبعدك عن اللعب.

ـ ما رأيكما لو صرفنا جزءاً ممّا ربحت؟

ـ فكرة جيدة.. لنذهب الى المقهى في تلك الخيمة لتناول شراب ما.

ذهبوا الى خيمة المرطبات وعندما حان وقت الدفع لم يسمح بول لجوانا بتكفل الضيافة كما اقترحت. فابتسمت وأخذت ترشف شرابها ولما استدارت لتضع كوبها الفارغ فوق الطاولة.. أصيبت بالجمود عند رؤية رونا تقف في مدخل الخيمة... يا لهذه الصدفة المزعجة!! أخذت تراقبها اثناء توجهها نحو الداخل وقد رافقها رجل ضخم الجثة، يبدو في منتصف العمر.

سألها بول:

ـ هل من خطب يا جوانا؟ تبدين كمن شاهد شبحاً.

ـ لا، بل شخصاً رأيته في نيويورك.

ـ أتعنين تلك الشقراء الفضية.

فأومأت برأسها مشيرة بـ نعم لكي لا يتقطع حبل أفكارها... وما هي إلا لحظات حتى علّقت بعدها:

ـ غريب... أنا متأكدة أنني رأيتها من قبل... آه.. لقد تذكرت! كانت تمضي نهاية كل أسبوع في الفندق مع الرجل الذي يرافقها الآن، لكن لم يكن شعرها أشقر، بل أبيض تقريباً... لا بد انك رأيتهما بنفسك بول؟

وعادت جوانا بفكرها الى الوراء، وسرعان ما تذكرت أن السيدة ڤالون علقت يومها على هذين الاثنين اللذين دخلا الفندق تحت اسم عائلة «جونز» وادعيا أنهما يفتشان عن سكن في الريف. وبدأت

ترتجف.. كيف يمكنها ان تنسى هذا الوجه المطلي بأدوات التجميل وهذا الشعر الاشقر الفضي؟

وبناءً على ذلك تمكنت من استخلاص نتيجة أخرى. فإذا كانت رونا والسيد «جونز» هما الشخصان اللذان تعرفهما فلا حاجة بعد الآن لخوف طوني من رونا... وإذا اثبتت جوانا أنها كانت تقضي نهاية كل أسبوع مع ذلك الرجل في نفس الفترة التي ادعت فيها بأن طوني قد وعدها بالزواج ثم تخلى عنها، فلم يعد أمام تلك المرأة سوى التراجع والهزيمة.

أمسكت بذراع بول:

ـ يجب أن أتصل بطوني حالاً..

ـ طوني؟ أهناك خطأ ما؟

ـ لا.. بالعكس.. لكنني تذكرت شيئاً مهماً يجب ان أبلّغه إياه.

ـ هناك غرفة هاتف عند المدخل.. سآخذك إليها.

ـ لا داعي لهذا.. ابق مع باتريسيا. سأعود إليكما في أسرع وقت.

لكنها لم تجد طوني، فتركت له رسالة لدى الموظف تؤكد فيها على ضرورة الاتصال بها.

تأخرت في العودة الى المنزل بعد الظهر، وحتى ذلك الوقت لم تتلقّ أي اتصال من طوني.. فقررت أن تتصل ثانية.. ولم تجده. وجدت نفسها مندفعة للسفر إليه والتحدث معه وجهاً لوجه. لو ان محاميه لم يعط المال لرونا! إنما يمكنه إقامة دعوى لاسترداده. لكنه بذلك تتعرض سمعته للسوء، ولا شك أنه سيفضل خسارة ماله. وقالت لوالدها:

ـ يجب أن أذهب اليه.. آسفة لأنني لم أعلمك بهذا من قبل لكن...

ـ لا بأس في الأمر، أنا قادر على رعاية نفسي.

ـ لن أبقى طيلة نهاية الاسبوع، فقد أعود الليلة في القطار.

تجنبت أي تعليق منه بالإسراع الى غرفتها لتبديل ملابسها. وبعد نصف ساعة أضحت في القطار المتوجه الى المدينة.

لدى دخولها الفندق أحست بالاضطراب لغيابها الطويل عنه، ولكونها تعلم بوجود طوني في جناحه، صعدت إليه مباشرة.. وقبل أن تطرق الباب، وضّبت شكلها قليلاً. ولكنها وجدت نفسها سخيفة لهذه الزيارة المفاجئة وفتح طوني لها الباب.

ـ لم أصدق عندما أعلمني موظف الاستقبال أن خطيبتي هنا.. هل حدث مكروه لأبيك؟

ـ لا.. لكن لا بد أن أحدثك.. اتصلت بك بعد الظهر، لكنك لم تكن موجوداً.

ـ كان عليك أن تتركي اسمك لأتصل بك.

ـ تركته، وعندما لم تتصل اعتقدت انك لا تريد التحدث معي، ولذا أتيت بنفسي.

ـ هذا صحيح.. لم أرد التحدث معك. لكنني لم أستلم الرسالة، وإلا لاتصلت بك. قلت لك إنني سأبلغك متى سأتفصل.

ـ أعلم... ولكنني...

ـ آه.. لم تستطيعي الانتظار... فتاتي الريفية لا تصدق كيف تتخلص مني! وأنا الرجل الذي تركض وراءه معظم الفتيات، كأنني السم للآنسة لايتون!

ـ انت تهذي!

ـ وهل ألام؟ وكيف لا يهذي من سيخسر خطيبة جميلة مثلك؟

ـ طوني.. توقف عن هذا الهراء.. فأنا لم آتِ الى هنا لأتشاجر معك.

ـ لماذا جئت إذاً؟

ـ لأخبرك أن لرونا اندرسون عشيق غيرك.

فذهل طوني، ثم ابتسم ساخراً:

ـ لا أظن أن الأمر يستحق تكبّد هذه الرحلة، فلم أعتقد أن حزنها سيستمر عليّ الى الأبد!

ـ لكنها كانت تطمح للزواج منك، ولهذا وافقت على شراء سكوتها. وكم ادّعت انها تحبك، وانك تنتظر طلاقها لتتزوج منها.

ـ وإن يكن؟

ـ ذلك الادعاء لم يكن صحيحاً فلطالما عبثت مع شخص آخر في الوقت الذي حاولت فيه إقناعك بحبها لك.

ـ وكيف عرفت؟

ـ التقيت بها في حفلة سباق الخيل بعد ظهر هذا اليوم وتذكرت أنني رأيتها منذ شهور طويلة في فندق القرية.

أعادت عليه كل الوقائع بسرعة، واكملت:

ـ أنا واثقة أن صاحبة الفندق السيدة ڤالون تذكرها جيداً.

فبدت الدهشة على طوني:

ـ قطعتِ كل هذه المسافة لتقولي لي هذا؟

ـ أجل.. لو استطعت ان أكلمك في الهاتف لما أتيت.. لكن ظننتك لا تريد مكالمتي إذ لم اتلقَ منك رداً، كما أنني لم أتحمّل ترك رونا تنجو بخداعها وابتزازها لك... أرجو أن.. لا تكون قد.. دفعت لها بعد؟ فأنا متأكدة أنها لن تجرؤ على مقاومتك لو رفضت، وواجهتها بالحقيقة.

ـ أنا واثق من هذا.. كنا سندفع الشيك لمحاميها يوم الاثنين... لقد وفرت عليّ دفع مبلغ باهظ.

ـ عظيم.

وقفت جوانا متجهة الى الباب.. فسألها:

ـ أهذا كل ما لديك لتقوليه؟

ـ وما الذي سيقال غيره؟ نستطيع الآن إنهاء خطبتنا طوني، ومتابعة حياتنا الخاصة.

ـ أنت وصديقك المزارع؟

ـ وهل يهمك الأمر؟

ـ أبداً.. لكنكِ أحببتني أنا.. أو هذا ما قلته... ولا أظن أنك لا زلت...

ـ لا تظن.. لم أعد. لقد احببت حلماً ولم أحب طوني بروكلي الحقيقي.

ـ الحب الرومانسي هو للأغبياء، ستكبرين يوماً ما وعندها تدركين أنه ليس بإمكانك تحويل أي شخص الى ملاك.

أمسكت مقبض الباب، وقبل أن تحركه وقف أمامها يسد الطريق عليها.

ـ مستعجلة للذهاب.. أليس كذلك؟ حسناً دعيني أعطيك ذكرى صغيرة قبل الوداع الأخير.

قبل أن تستطيع منعه كان قد عانقها ورغم أنها لم تكن المرة الأولى، إلا إن احساسه يختلف.. ربما هو الشوق. وتمتم:

ـ جوانا.. لا أستطيع تركك... لدي شيء أقوله لك.

فصاحت:

ـ لا! لن ينفع أي قول.

ـ وكيف عرفتِ؟ اسمعيني اولاً. لقد قلت مرة إنك أحببتني.

ـ كنت يومها طفلة.. وعواطف الطفولة سرعان ما تتلاشى. أنت لا تعني لي شيئاً طوني.. ولأكن صريحة، من الأسهل لي أن أحب أفعى!

فتحت الباب ثم هرعت مسرعة عبر الممر.

كانت الساعات التالية شديدة البؤس، فبعد أن وصلت إلى المنزل في منتصف الليل وجدت أباها يطفىء التلفزيون لتوه.. وكونها تعلم بأنها لن تتمكن من اخفاء تعاستها عنه، اخبرته بانتهاء الخطوبة بينهما.

ـ لقد خمّنت هذا، فقد كنت تعيسة منذ قدومك من اميركا. لذلك عرفت بوجود خطأ ما... خفّفي عنك عزيزتي فلن تستمر الأمور بهذا السوء.. ويوماً ما ستنسين طوني.

بعد ذلك الحديث لم يأتِ أيّاً منهما على ذكر طوني... ومرت الأيام... وجاء كل يوم أكثر رتابة وملالاً ممّا سبقه. وكان قرار جوانا بالبحث عن وظيفة تبعدها عن سبرنغ ڤيلد، فقصة فسخ خطوبتها اصبحت حديث الناس، الأمر الذي دفع رجال الصحافة لملاحقتها، لكن ريتشارد أبدى كثيراً من اللباقة في مقابلاته معهم حيث وضع اللوم في فسخ الخطوبة على اضطرار طوني للعودة الى نيويورك والعيش هناك.

عندما قرأت جوانا الصحف اعترفت بأنها كانت السبب في اختلاق قصة جيدة «المغني الشهير يتخلى عن حب امرأة واحدة من أجل حب الملايين». وتعاطف الكثيرون معها... ومنهم باتريسيا وبول، لكنهما لم يطرحا أية اسئلة، وبعد اسبوع دعياها الى حفلة راقصة في نادٍ ريفي قريب.

لم تواجه جوانا أبداً مشكلة إيجاد شركاء في الرقص.. وبذلت جهداً بارعاً في التظاهر بأنها تتمتع بسهرتها الأمر الذي شجع باتريسيا وبول على تكرار الدعوة في الاسبوع التالي. وفهمت من خلال هذا أنهما أخذا على عاتقهما تدبير رفيق لها قد يتحول الى صديق ثم من يدري... ولأنها لا زالت تحب طوني ولن تفكر حالياً بأي شخص

آخر، رفضت الدعوة.

تركاها وشأنها لفترة... ثم جاءت دعوة أخرى، هذه المرة الى العشاء، ومعها والدها، فاضطرت للقبول، كم يمكن للأصدقاء ذوي النوايا الطيبة أن يتحولوا الى مزعجين أحياناً ليتهما يتركانها وشأنها حتى تشفى من بؤسها على طريقتها.

بفتور همة، ارتدت جوانا، ليلة الاحتفال، ذلك الفستان الاحمر الحريري الذي أعجب طوني أول ما رآه عليها! وراحت تتنقل في غرفتها باضطراب.. هل يمكنها نسيانه؟ لقد مضى شهر كامل! ربما وجدت نسيانه أسهل لو أنه رجل عادي، لا يظهر في وسائل الإعلام لكن كل ما فتحت صحيفة، مجلة، تلفزيون، شاهدت صور له أو سمعت أغانيه أو اسمه.. وممّا زاد الأمر سوءاً أن اغنيتان من الاغاني العشر الأوائل في المبيعات والشهرة.. كانتا تدندنان أو يصّفر لحنهما على ألسنة الجميع في طول الشوارع وعرضها، كما تذاعان في كل البرامج الموسيقية.

ناداها والدها:

ـ جوانا... هل أنت جاهزة؟

شعرت أنها لن تتحمل تلك السهرة، فردت عليه من غرفتها:

ـ أبي... هل لديك مانع في الذهاب وحدك.. أحس بصداع رهيب.

أسرع السيد لايتون الى غرفتها ليراها:

ـ أتودين أن أبقى معك؟ سأتصل ببول.

ـ لا... أفضل أن أبقى لوحدي... سآخذ قرصين من الاسبرين وأنام.

ـ حسناً.. لكن أظن أنك مخطئة.

ـ مخطئة؟

ـ تعرفين ما أعني. أنت تسعين لنسيان طوني، وإن لم تفعلي ستذوبين من الكآبة بقية حياتك.

فتنهدت بقوة:

ـ اعطني بعض الوقت أبي!

ـ أنت لست بحاجة إلى الوقت فقط... بل إلى نمط جديد من الحياة وإلى الرغبة في التغيير.

ـ كنت أفكر بهذا... وأيضاً بالسفر الى خارج البلاد لفترة.

ـ والمكان الأبعد هو الأفضل... أليس كذلك؟

كانت ابتسامتها مريرة:

ـ إلى مكان لا صحف ولا راديو ولا تلفزيون فيه!

ـ لن تتمكني من محو الذكريات عزيزتي. أفضل وسيلة هي تغطيتها بذكريات أخرى تكون أفضل منها.

ـ سأكتب هذا على ورقة أضعها أمامي وأكرره كل يوم!

ـ ألن تغيري رأيك وتأتين معي الليلة؟

ـ لا.. أفضل البقاء فهو يناسبني.

ـ سيدرك بول أنك تختلقين الحجج.

ـ هذا أفضل فربما سيدعني وشأني.

غادر والدها المنزل متنهداً.. وتناولت جوانا قرصين من الاسبرين بعد أن أصبح الادعاء بالصداع امراً حقيقياً، وجلست قرب مدفأة غرفة الجلوس، لتجد صحيفة المساء على الطاولة فتصفحتها. وما أن رأت صورة طوني فيها حتى رمتها بسرعة إلى الأرض. وبعد لحظات، أحست برغبة غامرة لرؤية وجهه مجدداً، فالتقطتها.

كم هو وسيم! لا عجب أنها لم تتمكن من نسيانه.. ومع ذلك أدركت أن محياه الوسيم ليس السبب الوحيد في تعلقها به... بل هي الشخصية الاخرى التي لاحظتها فيه أكثر من مرة... ذلك الطفل

الوحيد المختبىء في شكل رجل، وذلك المؤلف اللامع الذي يكتب روائع أغاني الحب المعبرة عن أعمق مشاعر الانسان. حدقت بالصورة جيداً... مسكين طوني! إنه رجل يخاف الحب!

تدفقت الدموع من عينيها، ووضعت الصحيفة وصورة طوني على الطاولة أمامها. ثم صممت أن تقاوم كآبتها.. ففتحت التلفزيون وإذا به يعرض برنامج منوعات. وعلى الفور أغمضت عينيها، فلقد بدأ الاسبرين يعطي مفعوله المخدر... لكن ما إن سمعت مقدمة أغنية لطوني تملأ أرجاء الغرفة، حتى أجفلت وفتحت عينيها لتراه أمامها... كان يبدو أكثر وسامة من قبل، وأكثر نحولاً أيضاً... ولمعت عيناه مبتسماً ثم قال بنعومة:

ـ أنا سعيد بوجودي معكم ثانية. وكأول وصلة لي أود أن أغني لكم أغنية جديدة ألفتها لتوي... إنها عن الحب، وأهديها الى كل الاحبة.

تراجع طوني وجلس على مقعد حديدي لماع، ووضع الغيتار في حجره، وسرعان ما تعرفت جوانا على الغيتار، إنه هو نفسه الذي عزف عليه في بيت عمتها. وملأت الأنغام الغرفة، وتعالى صوته صافياً دون بذل أي جهد.

كانت كلمات الأغنية سهلة تتحدث عن حب وجده فجأة وضاع منه فجأة، وعن محاولته للبحث عنه مجدَّداً، واعترافه بضرورة تمسك المرء بالحبيب حالما يجده لكي لا يضيع منه ثانية.

بتنهيدة ألم مرير، مدت يدها وأقفلت الجهاز. لكن بعد توقفه سمعت صوت طوني لا يزال يغني من دون موسيقى وبصوت أنعم يقترب أكثر فأكثر، فاستدارت مذهلة وإذا به يقف بالباب. فشهقت بعذاب:

ـ لا!... لا يمكن أن تكون هنا!

ـ بل أنا هنا.. وما شاهدته على التلفزيون كان برنامجاً مسجلاً.

ووقفت متراجعة إلى الخلف:

ـ كيف دخلت؟

ـ أعطاني والدك المفتاح. كنت قد وصلت لتوي عندما خرج، وقد تجولت في الخارج محاولاً استجماع شجاعتي للدخول ورؤيتك.

ـ لقد رأيتني الآن.. فقل لي ماذا تريد.. واذهب!

ـ سأسافر الى اميركا في الاسبوع القادم... وكان لا بد لي من رؤيتك.

تقدم منها، فتراجعت خلف المقعد.

ـ لا تخافي.. لن ألمسك إن لم ترغبي.

ـ إذا كان لديكما أنتَ وريتشارد تصاميم دعائية جديدة.. فأنا لا أهتم بها.

ـ إنه لا يعلم بمجيئي الى هنا، فبالكاد نكلم بعضنا هذه الأيام!

ـ لماذا؟

ـ لقد تشاجرنا. عندما عرفت أنه استغل عودتي معك يوم حادثة والدك، ليحصل على دعاية صارخة لي في اميركا.

ـ قلت لك هذا في تلك الاثناء، فلا حاجة لادعائك بأنك اكتشفته حديثاً.

ـ ما اكتشفته هو ظنه بأنني سافرت معكِ لأجلِ الدعاية.

ـ ألم يكن كذلك؟

ـ لا...! فقد أتيت لأقول لك هذا. فلو صدّق ريتشارد السبب لجعلك تصدقينه بدورك.

ـ لم أكن بحاجة له لإقناعي بما هو واضح.

ـ ربما تبين لك هذا، لكنه لم يكن هكذا بالنسبة لي. لقد عدت معك لأنني أردت مواساتك ومساعدتك. ولاول مرة في حياتي أقدم

على حماية شخص ما، دون الاهتمام بعقد عمل أو بأي شيء آخر.

احتارت جوانا.. ولم تفهم لمَ يهتم بجعلها تصدق نواياه.

ـ لا ينقصك المعجبين طوني، فلمَ تكلّف نفسك عناء إقناع واحدة أخرى.

ـ لا أهتم بكل المعجبين... ولا بإعجابك بي، كل ما يهمني أن لا تحتقريني.

هذا ليس طوني الذي تعرفه، ليس النجم الذي لا يهمه رأي الآخرين به وسط تصفيق المعجبين له ولدى تأملها في وجهه المتجهم المتوتر، أصبح من المستحيل عليها أن تشك بكلامه.. لكنها لم تفهم بعد سبب مجيئه إلى منزلها.

وتابع كلامه:

ـ لا ألومك جوانا، ولا يمكنك احتقاري أكثر مما أحتقر نفسي.

أدركت صعوبة موقفه بالمجيء إليها وإذلال نفسه أمامها، فتقدمت لتقف الى جانبه، وقالت هامسة:

ـ أنا آسفة لأنني أسأت الحكم عليك طوني.

ـ لا.. بل كنت محقة في كل شيء، إلا بالنسبة لعودتي معك اثناء مرض والدك.

ودون أن تدري ما تقول، تابعت النظر اليه، فالتقت نظراتهما بسرعة لكنه أشاح نظره عنها وأكمل:

ـ لم أدعي فعلاً.. فالفترة التي قضيناها في نيويورك... أصبحت أثناءها تعنين لي شيئاً. لكنني خفت الاعتراف بهذا لعلمي بالألم الذي سأسببه لك، ولذلك كنت بطيئاً.

أحست بالخوف، فابتعدت عنه:

ـ لا تقل المزيد!

ـ لمَ لا..؟ أحببتك جو.. دون أن أقصد الوقوع في حبك، ولم

أستطع منع نفسي.

ـ طوني لا تقل هذا.. أصدق حسن نيتك عندما جئت معي يوم حادثة والدي.. لكنني لن أستطيع تصديق هذا الكلام الأخير.

فضحك مشفقاً على نفسه:

ـ لست مندهشاً لهذا... لم أعرف معنى الحقيقة أو الحب إلى أن دخلت حياتي. كنت مثالاً للمعجبين، وأنت حطمتني... سحقتني جو.. لقد دمرتِ طوني بروكلي.

فصاحت:

ـ أوه.. لا.. لا تقل هذا!

ـ هذا ما فعلته بي، وسأكون سعيداً لو صرخت بهذه الحقيقة من فوق سطوح المنازل. أصبحت على الأقل أشغّل قلبي، ولم اعد مثل دراكولا الذي لا يعرف الحياة الا ليلاً على المسرح او أمام آلات التصوير... وهذا اكتشاف جديد... جعلتني أعيد النظر في كل نظام حياتي.

رغم استمرارها في إخفاء مشاعرها سألته:

ـ أيعني هذا انك تتصرف بطريقة مختلفة في عملك؟

ـ في عملي وفي حياتي الخاصة كذلك. فقد أمضيت الاسبوعين الأخيرين في شجار دائم مع ريتشارد حتى اقتنع بالبقاء معي على أساس شروط جديدة: لن اقوم بعد الآن بجولات فنية طويلة الامد، وسأقيم حفلات لأسبوع واحد كل ستة أشهر. بالإضافة الى توقيعي عقداً مع شركة في هوليود لتمثيل فيلم واحد في السنة ولمدة عشر سنوات قادمة. سأعيش من هذا المدخول الذي لا أحتاج معه للقيام بعمل آخر.. وسيوفر لي وقتاً للتأليف والتلحين، الأمر الذي طالما تقت إليه.

ـ أنا سعيدة لأجلك...

ارتبكت ولم تستطع إكمال كلامها.. بسبب قربه منها، وجاهدت ضد رغبة لديها برمي نفسها بين ذراعيه.. ثم سألته مرتجفة:

- هل تريد أن تشرب شيئاً؟

- أريدك أنت فقط.. لقد سمعت كل ما قلته جوانا. ولا يمكنك الادعاء أنك لم تفهمي رجائي.

- لن ينفع بالرغم من هذا.

فجلس على الاريكة ووضع رأسه بين يديه:

- هكذا إذن... لا ألومك على الرفض. قدمت الى هنا وعلم علمي بأنني اضيع وقتي، لكنني لم أهتم لهذا. وكل ما كان يهمني أن أراكِ وأبوح لك بحقيقة شعوري. أنا لم أقصد الوقوع في حبك، وقد دفعني الخوف منك إلى مقاومتكِ بشراسة، لذا ذهبت الى رونا يوم كنا معاً في القارب.

- أرجوك، لا تشرح لي الأمر، فهذا غير ضروري.

- يحق لكِ أن لا تقبلي بي... كان لديَّ معرفة قلبية أكيدة برفضكِ لي.

- ومع ذلك جئت إلى هنا؟

رفع طوني وجهه وعيناه تلمعان من الدموع:

- أحببت أن تعرفي مشاعري.. وكم أكره ذلك الرجل الذي تقمصت شخصيته.

- لا تكرهه كثيراً... فهو من أحببت في البداية.

حدّق بوجهها طويلاً محاولاً اكتشاف ما تعنيه.

- ما الذي تحاولين قوله جوانا؟ لا تتلاعبي بي. لم أعد أحتمل هذا.. لا تحاولي خداعي لتؤلميني. لن أتحمل.. ليس منك.

- لن أفعل هذا مطلقاً. لقد تألمنا ما فيه الكفاية.. عندما قلت لي إنك تحبني خفت أن اصدقك.

- والآن؟

- لم أعد خائفة.. لقد اعتقدت بأنني سأخذلك، ومع ذلك جئت، ولم تكن الكلمات لتؤكد لي مدى تغيرك أكثر ممَّا أثبت لي هذا، في حين أن طوني القديم كانت كبرياؤه ستحول بينه وبين هذا الفعل.

- لا يوجد شيء يدعى الكبرياء بين شخصين متحابين. أيعني هذا أنك موافقة على الزواج مني؟

- حاول أن تمنعني!

اكتفى بمعانقتها، إذ لم يحاول فعل شيء آخر، واقتنعت بالارتياح ضمن دائرة ذراعيه، تغمرها الطمأنينة التي توفرت لها، وقال مرتجفاً:

- أمر مضحك.. لكن للعواطف لذة تفوق أي شيء آخر.

فابتسمت جوانا، لقد راودتها نفس الفكرة.

- طوني يا حبيبي..! أنت تتعلم بسرعة.

- لأنك معلمة ممتازة... سأحصل على ترخيص زواج خاص في الغد... ولن أسافر من دونك.

فضحكت:

- لكن سيحتاج ريتشارد للوقت كي يرتب أمور الدعاية!

تفوه طوني بكلمة نابية، وقبل طرف أنفها:

- سيحظى مستقبلاً بفرص دعائية كثيرة، لكنني أود إبقاء زواجنا أمراً خاصاً بيننا.. ووالدك، بيننا نحن فقط.

مدت يديها إلى رأسه وأخذت تعبث بشعره كطفلة فرحت

بالحصول على شيء خاص بها بعد طول عناء وبكاء.. وعانقها بدوره ثم تمتم بصوت متقطّع:

ـ أنت لي... ولن أدعك تذهبين!

* * *

فراشة الحبة
منتديات ليلاس